شيـث بن آدم
ومـقـامُـــه
في بلــــدة النـبـي شيـث

الشيخ د . جـعـفـر الـمـهـاجــر

المؤلـف : الشيخ د. جعفر المهاجـر

الكتاب : شيث بن آدم ومقامه في بلدة النبي شيث

إعداد : مركـــز بهاء الديـــن العاملي للأبحـــاث والدراسات والتدريب (**مُبـدِع**) .

الناشر: دار بهاء الدين العاملي للنشر والتوزيع بعلبك هاتـف : 009618377756

فهرست الموضوعات

المقدمة 5
تمهيد 7
النبي شيث 17
1 ـ البلدة 18
خلاصة الفصل 32
2 ـ النبي 35
خلاصة الفصل 52
3 ـ المقام 56
مُلحق (وثيقة وقفية النبي شيث) 60
1ـ في سندها وصحّتها 61
2ـ في قراءتها وتحليل مضمونها 62
نصّ الوقفيّة 66
الخلاصة وتوكيل بيت الحاج حسن 77
ختام 80

بســـــم الله الرحمن الرحيـم

المقـدّمـة

هذا بحثٌ على مقام نبي الله شيث والبلدة التي نشأت من حوله وعلى اسمه . وضعته تلبيةً للحاجة المُلحّة ، التي تندرجُ في واحدةٍ من أهمّ وظائف البحث والباحث المُنتمي ، أعني العمل على نقل السلوك الشعبي الديني من مستوى التقليد والموروث ، إلى مستوى الفعل الواعي على الأصل والباعث والمغزى . وتلك نقلةٌ نوعيّةٌ تستحقُّ أن يُبذلَ في سبيلها كل جُهد .

يتألف البحث من ثلاثة فصول رئيسة :

ـ (البلدة) وهو في التاريخ العُمراني ـ السُكّاني لبلدة النبي شيث . فيه نعملُ على وصف وتفسير التركيبة السُكانيّة الحاليّة فيها ، لِما هنالك من علاقةٍ عُضويّةٍ بين مقام النبي وبين نشوئها .

ـ (النبي) أي شيث طبعاً . وفيه نقفُ على موقعه بوصفه نبيّاً ـ وصيّاً في حركة الإيمان . ونستعرضُ بالخصوص أنماطَ حضوره في الحالة الدينيّة في منطقةٍ شاسعة ، تمتدُ من مصر إلى إيران . ثم موقعَه بوصفه رائداً حضاريّاً . وهذا بحثٌ طريف .

ـ (المقام) وفيه نؤرّخ لمقامه المعروف في البلدة ، منذ أوّل ما نعرفه عنه حتى اليوم .

وسنُذيّلُ كلَّ فصل بخلاصةٍ لمضمونه ، مُساعدةً للقارئ على تركيز المعلومات في ذهنه . كما سنوردُ في خواتيم البحث النصَّ الرسمي الوحيد لوقفيّة المقام . بعد التمهيد له بمقدمةٍ على درجة وثاقة النصّ ثم تحليل مضامينه . وهونصٌّ في غاية الأهميّة لِما تضمّنه من معلومات جمّة تتصلُ بالإشكاليّات التي عالجناها في مختلف فصول البحث .

بالنسبة لمصادر البحث فإن أكثرها أهميّةً هي الروايات الشفويّة المُتناقَلة . ثم الوثيقة الرسميّة التي ذكرناها أعلاه . بالإضافة إلى بعض المصادر التاريخيّة وغيرها .

والحمد لله رب العالمين

بعلبك في22جُمادى الأولى 1435هـ

24 آذار/ مارس 2014م

تمهيـــــد

(1)

تحفلُ المنطقةُ الشّـاميّـةُ ، الـمُـمتـدّةُ مـن عسـقلان في فلسطين جنوباً إلى جبال زاغروس التركيّة شمالاً ، ومن البحـر المُتوسّط غـربـاً إلـى الباديـة شرقـاً ــ ، تحفلُ بعـددٍ كبيرٍ من الأضرحـة والمشاهد القديمة ذات الصفة الدينيّة الـمَنسـوبة إلى أنبياء وصُلحاء غابرين . وما من غَـروٍ في ذلك ولا غَـرابَـة ، ذلـك أنّ هـذه المنطقة إحـدى أعرق مَنابت الحضارة والمَـدنيّة الإنسانيّة الثلاثة الكُبرى الأُولى في التاريخ ، إلى جانـب وادي النيل والصين . فيها نشـأتْ الـمَدنيّاتُ الأُولـى والـمُـدُنُ العريقةُ في القِدَم ، وفي رأسِـها مدينتنا بعلبك شـرق سهل البقاع من لبنـان وأريـحــا في فلســطين . وهـمـا المدينتـان اللـتان تتنـازعـان الأوّلـيّة بين الـمُـدُن التي شـادها الإنسـان أولَ ما شـاد ، علـى اختلافٍ بين المُؤرّخين بين هـذه وتلك .

مـن هنا فـإنّـه ما من غَـرابَـةٍ أبـداً في أنّـنا نجِـدُ في المنطقة ، خصوصاً في مدينة بعلبك وجوارها ، وقـد

عـرفنا عَـراقَـتَـها في التّمـدين ، عشـراتِ المقاماتِ الـمَنسوبةِ إلــى أنبياءٍ غالباً وصالحين أحياناً ، ما تـزالُ قائمــةً ، مع أنّهـا مَنسـوبةٌ إلى أنبياءٍ بُعثـوا أو صُلحاءعاشوا قبل عشـرات القرون من السنين ، وبعضُهـا ما يزالُ مَقصوداً من الزّائرين والمؤمنين حتى اليوم . ذلك أنّ هـذه المنطقةُ ، بوصفِهـا من مناطق الاسـتيطان الإنسانيّة الأُولــى ، كانت أيضاً محـلاًّ لبعثةِ الأنبياءِ وأعمالِهم ، طِبقاً للقاعـدة الإلـهيّة القاضية بعُموم الرسالة وبــأن يكونَ لكلِّ أُمّـةٍ رسـول " . . . . . **وإنْ من أُمّـةٍ إلا خـلا فيها نـذيـر "**[1] . **" ورُسُـلاً قـد قصصناهم عليك من قبل ورُسُـلاً لم نقصصهم عليك وكلّمَ اللهُ موسى تكليما . رُسُـلاً مُبشّرين ومُنـذرين لئلا يكونَ للناس علـى الله حُجّـةٌ بعد الرُسُـل "**[2].

(2)

علـى أنّ وجودَ المعلَم الماديّ ، سواءٌ كان ضريحاً أم مشهداً [3] لا يعني أنّ كلَّ مقامٍ منسوبٍ إلى نبيٍّ من الأنبياء أو صالحٍ من الصالحين هـو صحيحُ النسبة إليه . نقولُ هـذا التحذير مع كامل احترامِنا للمرويّات الشّفويّة المُتَدَاولَـة بين الجَمْـع الكبير مـن الناس علـى

نطاقٍ عام ، لِما نعرفُه وخبرناه أنّ تلك المشاهد دائماً تقريباً تحكي تاريخاً حقيقيّاً في أساسِها ونشأتِها . نعم قد ، بل وكثيراً، ما تُحرَّفُ هُويّتُها مع مُرور الأزمان عن حقيقتِها . إلا أنّه ليس من العسير على الباحث الحصيف المُتمرّس أن يُصحّحَ التحريف ويُعيدَها إلى الصواب . ذلك أنّنا نعرفُ أنّ من المقامات المَنسوبة إلى نبيّ من الأنبياء ما هو في الحقيقة إلا قبورٌ لأشخاصٍ كانوا محلَّ تقدير الناس في حياتهم ، لِما لهم من مكانةٍ دينيّة عادةً . فلمّا ماتوا شادَ الناسُ لهم أضرحةً تُناسبُ ما لهم من مكانةٍ عندهم . ومع مُرور الأيام نسيَ الناسُ دفينَ الضريح الحقيقيّ ، ولم يبقَ إلا الأثرُ المادّيُّ القائم واسمُ صاحبه المُتدَاوَل ، ولم يكُن بينهم من أهل العلم والمعرفة مَن يُبيّنُ لهم الحقيقة ، فحلّوا المُشكلةَ من موجودِهِم ، بأن أضافوا إلى الاسم الذي يعرفونه لصاحب الضريح صفةَ (النبي) ، لا لشيءٍ إلا لأنّ النبيَّ هو الأحقُّ بالتكريم من بين بني البشر .

ومن ذلك المقام المُسمّى بـ "النبي سليمان" في بلدة يونين بجوار بعلبك ، يزعمون أنّهُ هو سليمان بن داوود . وما هو في الحقيقة إلا ضريحُ سليمان بن

مهـدي اليونيني الحنبلي . وهو مُتصوِّفٌ من أُسـرةٍ أنجبت عـدداً من المُتصوّفة ، الذين نجِـدُ ذكرَهُـم في كتاب (ذيل مـرآة الزمان) لموسى بن محمد اليونيني (ت: 726هـ / 1326م) ، وهو من أبناء الأُسـرة نفسِها .
وعاش سليمان هـذا في القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي[4] . وكانت له زاوية يخلو فيها للعبادة إلى جنب نبعٍ ماء ، دُفـن فيها بعـد وفاته . والآخَرُ المنسـوب إلى المُسمّى "النبي عـيسى" في البلـدة نفسِـها ، وهو لعيسى بن أحمـد اليونيني الحنبلي ، وصفه اليونيني بـ "الشيخ الصالح الزاهـد العارف المشهور" [5] (ت : 654هـ / 1255م) .

(3)

هـذا وفي بعلبك ضريحٌ منسوبٌ إلى النبي إلياس ، بمدخل المدينة الجنوبي على مُرتفعٍ لجهة الشـرق ، يُقالُ أنّه هو نفسـه الذي ذكـره القرآن بقوله تعالى : " وإنّ إلياس لمـن المُرسَـلين . إذ قال لقومه ألا تتقون . أتدعـون بعلاً وتذرون أحسنَ الخالقـين" [6]. مع مُلاحظـة أنّ "بعـل" هو اسـم المَعـبود الذي تكرّس باسـم المدينة (بعل / بك) ، وهـذا يمنحُ نسـبةَ الضريح إلـــى

النبي إلياس حظّاً من القبول من حيث المبدأ . وعلى كلّ حال فإنّ الضريحَ درَسَ وضاعتْ معالمُه . وفي جُردِها مقامٌ شبه دارس منسوب إلى اليسع ، الذي يُقال أنّه هو نفسُهُ ذو الكفل المذكور في القرآن أيضاً [7] . وفي قرية النبي سباط المُجاورة مقامٌ أيضاً منسوبٌ إلى مَن يُسمّونه النبي سباط . وفي قرية الخِضْر مشهدٌ منسوب إلى الخَضِر، والناس هناك يقولون أنّ ذلك العبد الصالح زار المنطقة وأقام زمناً في البقعة التي شيدت فيها القريةُ فيما بعد . وفي قرية النبي أيلا مقامٌ عامرٌ مقصود من المسلمين والمسيحيين من أبناء المنطقة على السّواء ، وهو على اسم " نبي" بالاسم نفسه . وفي بلدة النبي شيث ضريحٌ على اسم النبيّ نفسه أيضاً . إلى مقامات وأضرحة كثيرة غيرها ، بحيث لا تكاد تخلو قريةٌ من قُرى المنطقة منها .

(4)

والحقيقةُ التي نرمي إلى الإلفاتِ إليها من وراء هذا التمهيد، هي أنّنا لا ينبغي أبداً أن نستهينَ بقيمةِ تلك المعالِم ، لأنّها الوثائق المادّيّة الوحيدة الباقية من حِقَبٍ تاريخيّةٍ قديمةٍ ضائعة . يمكن للبحث العلميّ الصّبور

والمُتمكّن أن يُضيَ إضاءةً ما عليها . وعَبْرَها يمكن أن نصِلَ إلى حقائقَ هامّـةٍ جـداً من تاريخ الناس الذين عـبروا المنطقةَ في الأزمان الغابرة ، والعقائدَ التي آمنوا بها ، وصنوفَ عباداتِهِم ، وحـركـةَ العُمـران السُكّاني وتطـوّره ، ودورَ الأنبياء في ذلك كلّه . وكلُّها ممّـا تستنكفُ كُتُـبُ التاريخ الرسميّ عـن ذكـرها ، لأنّـها تمنحُ كامـلَ اهتمامِها لأخبار الملوك والأُمـراء والقادة ومَـن إليهم . ثم أتى الباحثون المُحدَثون ، وهم إمّا غربيّون أو متأثّرون بالثقافة الغربيّة ، ليُمعنوا في إرباك الصورة التاريخيّة الخبيئة في تلك المعالم ، التي يمكنُ أن نكتشفها بدراستها ، بأن فهموا من أسماء بعض الأنبياء الذين وردَ ذكرُهُم في مُختلف الوثائق القديمة ، ومنها الكُتُبُ المُنزلَـة . ومن هؤلاء اسم (شيث) الذي قـد يأتي مُحرّفاً خضوعاً للهجة المحلّيّة التي كانت سائدة (شاث) (شث) [8] ــ ، فهموا أنها أسماءٌ لآلهةٍ مَعبودة . وهـذا موقفٌ شخصيٌّ ناشئٌ من ثقافة الباحث ، و ما من شـيءٍ من مُعطيات النصّ ما يُؤيّدُه . بداهةَ أنّ فهمَ أيّ نصٍّ ، من هذا أو غيره ، يتأثّر بثقافة قارئه . ومن المعلوم أنّ مفهومَ النُبوّة كما هو في ثقافتنا قديماً وحديثاً

لا وُجودَ له في الثقافة الغربيّة . وهذا سببٌ من أسباب ضياع دور نبي الله شيث في تاريخ المنطقة ، ممّا سنُعنى ببيانِهِ في ما سيأتي من هذا البحث إن شاء الله .

نقولُ كلَّ هذا على سبيل التمهيد للبحث ، مع ضرورة أن نُلاحظَ منذ الآن أنّ غير قريةٍ وبلدةٍ ممّا ذكرناه يحملُ اسمَ "نبي" من الأنبياء أو غيره من الصالحين ، ممّا يدلُّ على أنّها قد تكون شيدَت حولَ مقامِه . ومنها مقام النبي شيث ، الذي وضعنا هذه الدراسة عليه وعلى مقامه . وعليه فإنّ هذه المُلاحظة تدلُّ دلالةً قطعيّةً على أنّ عُمران هذه المنطقة ، منبت الحضارات ومُلتقاها ، قد ارتبط ارتباطاً عميقاً بالديانات القديمة وبأنبيائِها . وبعضهم على الأقلّ ممّن تُسمّيهم الأبحاثُ الغربيّة والمتأثّرة بها آلهة . إمّا بسبب غياب مفهوم النبوّة في ثقافة أولئك الباحثين ، والنبوّات كلُّها توحيديّة ، ومنابعُ التوحيدُ كلُّها شرقيّة بلا إشكال . وإمّا بسبب انحدار التوحيد الذي جاء به الأنبياء باتجاه الوثنيّة أوالشِّرك ، بسبب ميل البشر إلى الأُمور الماديّة المحسوسة ، في مُقابل الإيمان العقلي ، كما حصل في بعض الأديان . وما انحدار

التوحيد الإبراهيمي الأصيل عند عرب شبه الجزيرة نحو الشِّرك ، بحيث جعلوا من الكعبة ، وهي أوّل مسجدٍ وُضع للناس ، بيتاً للأوثان ، إلا مثالٌ ساطعٌ على ذلك .

هوامـشُ الفصل

1 ـ فاطـر / 24 .

2 ـ النساء / 164 ــ 165 .

3 ـ من الضروري لمصلحة القارئ أن نُميّزَ بين الضريح / المقام والمشهد بالقول أنّ الأوّلَ يعني وُجودَ دفين ، أمّا الثاني فهو أشبهُ بما نُسمّيه اليوم بالنصَب التذكاري .

4 ـ اليونيني : ذيل مرآة الزمان ، ط . حيـدر آباد الدكن ، ط. 1374هـ / 1954 م ــ 1380 هـ / 1961 م : 3 / 66.

5 ـ نفســه : 1 / 24 .

6 ـ الصافات / 123 ـ 125 .

7 ـ بقوله تعالى : " واذكر إسـماعـيل واليسعَ وذا الكفل وكـلٌّ من الأخيار" : سـورة ص / آية 48 . وفي الآية دليلٌ بالتّضمُّن على أنّ اليسع هو غـير ذي الكفـل ، لمكان العطف الذي يقتضي المُغايرة .

8 ــ انظر : الطبري : تاريخ ، ط. دار المعارف بمصر لات : 1 / 152حيث يقول : "وهو [يعني اسم النبي شيث] بالعربية شِـث ، وبالسريانيّة شاث ، وبالعبرانية شيث " .

النبي شيث

والاسمُ كما عرفنا علَمٌ على النبي عليه وعلى نبيّنا وآلِه افضل الصلاة والسلام ، و أيضاً على البلدة التي تحتوي الضريحَ المَنسوبَ إليه . وكلاهما ممّا ينبغي للباحث الذي يعملُ على قراءةٍ شاملةٍ لكل إشكاليّات البحث أن يطوفَ به . عليه أولاً أن يسعى في سبيل تقديم صورةٍ وافيةٍ ما أمكن للبلدةِ وعُمّارِها وللمقامِ الذي يتوسّطُها ، ثم بنبيّ الله شيث نفسه والتنويه بما له من موقع عند المؤمنين .

وعليه فإنّنا سنبدأُ بإيراد نُبذةٍ عن البلدة ، نخصُّ تاريخَها العُمراني / البُلداني والسُكّاني . ثم نُثنّي بمَن هي مَنسوبةٌ إليه ، أو بالأحرى بمَن سُمّيت باسمِه ، وبيان ما هو مجهولٌ من مكانته العالية في تاريخ حركةِ الإيمان ومَن قادها على التوالي من الأنبياء والمرسلين . ونختمُ بذكر تاريخ المقام ، وبيان ما نعرفه من تطوّر العناية به .

---

1 ــ البلـدة

(1)

تقعُ بلدة النبي شـيث شـرقَ وسـطِ وادي / سـهل البقاع من لبنان ، عـلى السفح الغربي لسلسلة الجبال اللبنانيّة المعروفة بالسلسلة الشرقـيّة .

وما من ريبٍ في أنّ البلدةَ مُعـرقَةٌ في القِـدَم ، بدليل الآثار وقِطَـع النقـد المعدنيّة والعاديّات القديمة التي قـد يُعثَـرُ عليها في باطن أرضِـها . فضلاً عن وُجود مغاور وكهوف في جوارها ، تشهدُ آثارُ الصّنعةِ فيها أنّها كانت مساكنَ للبشـر .

على أنّهُ ما من ريبٍ في أنّ هذا الاسم بتركيبته العربيّة الحاليّة هو حادثٌ نسبياً . أخصُّ كلمة (النبي) بالذات . أمّا الاسمُ العَلَـم (شيث) فهو لا يتغيّر تماماً كما هو شـأن الأسماء العَلَـم عموماً إلا بمقـدار اختلاف اللهجات ، كما رأينا في(شيث) و(شاث) و (شِثْ)، ومثلُ ذلك يُمكنُ أن يُقالَ على مقام (النبي أيلا) المُجاور . نقولُ هذا لأنّنا نجِـدُ في المنطقة اسماءَ لبلدانٍ منسوبةٍ إلى (شيث) النبي قد بقيت على صيغتِها السابقةِ على دخول المنطقة في دار الإسلام أيّاً كانت وما ترتّب عليه مـن

سيطرةِ اللغة العربيّة : جبشيث ، حبشيت ، عدشيث (قريتان) ، حدشيث ، بوعشيث ، عمشيث ، كْفَرياشيث وكلُّها في لبنان السياسي الحالي . وسنقِفُ على دلالة ذلك فيما سيأتي إن شاء الله .

(2)

والتركيبةُ السُكّانيّةُ القائمة الآن في المنطقة ، ومنها بلدة النبي شيث ، تدلُّ دلالةً لا ريب فيها على أنّها قد نَمَتْ سُكّانيّاً أثناءَ تاريخِها القريب نسبيّاً بالهجرة الواسعة إليها من أنحاء جبل لبنان وغيرِه . و أكثرُها في سياقِ انهيارِ أمرِ عُمّارِه التاريخيين من الشيعةِ انهياراً سُكّانيّاً في الجبل ، ابتداءً من الحملة المملوكيّة على كسروان والمتن وعكّار في أوائل القرن الثامن للهجرة / الرابع عشر للميلاد ، التي استمرّتْ من بعدُ بشكلٍ وبغيره تحت مُختلف العناوين بين كَرٍّ وفَرٍّ طوالَ الليل العثماني الطويل ، وخصوصاً أثناء تصاعُد النفوذ الغربي في لبنان ، حتى أواسط القرن الثالث عشر للهجرة / التاسع عشر للميلاد . وبالنتيجة نهضت صورةٌ سُكّانيّةٌ جديدة فيما أصبح فيما بعد لبنان السياسي ، يمكنُ تلخيصُها على النحو التالي :

نشأتْ أو نمَتْ على السفوح الشرقية لجبل لبنان المُشرفة على سهل البقاع من غربيِّهِ ، ابتداءً من بلدة الكرك أو كرك نوح حتى وادي نهر العاصي وسهل الهرمل والجُرودِ المُواليةِ له ، ــ نشأتْ مجموعةٌ كبيرةٌ من البلدان والقُرى ، عُمّارُها الجُدُد من النّاجين من المذابح المُتوالية التي أُنزلت بالشيعة من أهل الجبل . وحتى اليوم فإنّنا نجِدُ أنّ عُمّارَ تلك البلدان والقُرى هم أساساً ممّن هُجِّروا من الجبل . ومنهم مَن لايزالُ بعضُ أبناء أُسراتهم في مواطنهم الأصليّة . ومن هؤلاء مثلاً آل مقداد وشمص وبُرّو وكنعان وعوّاد والحسيني والموسوي وغيرهم كثيرون . بحيث نرى أبناءَ الأُسرة نفسِها من هذه على كلا جانبي الجبل .

(3)

في الوقت الذي كانت فيه هذه الحركة السُكّانيّةُ عالقةً في السفوح الشرقيّة ، مُنشئةً البلدانَ والقُرى الكثيرة ، كانت حركةٌ أُخرى لا تقلُّ أهميّةً عالقةً أيضاً في السفوح الغربية لسلسلة الجبال الشرقية المُواجهة ، قادمةً من مواطنَ تاريخيّة أُخرى للشيعة أيضاً ، هي منازلُ المُهاجرين الهمدانيين الأوائل في الهضاب شرق

بعلبك ، وُصولاً إلى بلدتي الجُبّة وعسْال الورد (كلتاهما في سوريا اليوم) .

هذه الحركة سلكتْ طريقين :

ـــ طريقٌ مُباشر في الهضاب باتجاه بعلبك ، وهي الأصغر حجماً بين الاثنتيَن. ونعرفُ ممّن سلكوها آل العوطة الذين ما يزالون وما تزالُ أملاكُهم العقاريّة حتى اليوم في الهضاب شرق بعلبك . ولا بدّ أن يكون هناك غيرهم ممّن ضاع ذكرهُم .

ـــ طريقٌ غير مُباشر سلكت الهضابَ المُمتدّةَ جنوب بعلبك ، مُنشئةً عدّة قرى وهي تتحرّكُ سُكّانيّاً على الطريق : سرعين الفوقا ، طفيل ، معربون ، سرغايا ، حام ، الخريبة ، النبي سباط وربما غيرها . بينما تابع بعضُها الآخَر طريقَه باتجاه السهل، حيث يبدو أنّه أنشأ بضعَ قُرىً أُخرى في نطاق بعلبك ، نظنُّ أنّ منها علي النهري وانصاريّة ، وربما غيرها . ثم انتهى قسمٌ منه في المدينة نفسِها. ومنهم آل الحرفوش، الذي سيحكمون البقاع البعلبكي لعدّة قرون تالية .

(4)

هكذا فإنّ عامّة البلدان القائمة على السفوح الشرقيّة

للسلسلة الغربيّة المُطلّة على سهل البقاع ترجعُ بأُصولِها السُكّانيّة إلى جبل لبنان . في حين أن عامّة البلدان على السفوح الغربيّة للسلسلة الشرقيّة ترجعُ بأُصولها إلى الهضاب المُمتدّة بعيداً شرق مدينة بعلبك .

بلدة النبي شيث وحدها استثناءٌ من هذه الخريطة السُكّانيّة التاريخيّة ، فهي تستقرُّ كما عرفنا على السفح الغربي للسلسلة الشرقيّة ، ومع ذلك فإنّ أكثرَ عُمّارها اليوم يرجعون بأُصولهم إلى جبل لبنان من السلسلة الغربيّة . وهذه ظاهرةٌ تستدعي من الباحث أن يقِفَ عندها ، مُحاولاً بيانَ أس بابِها الكامنة ولا ريب في مُجمَل الحركة السُكّانيّة التي كانت وراء نُموّ البلدة وكوّنت صورتها السُكّانيّةَ القائمةَ بالفعل .

من الواضح للمُتأمّل أنّ تفسير هذه الحالة كامنٌ في تاريخ وهُويّة التشكّل السُكّاني للبلدة . وهو بالتالي يستدعي منّا تخصيصَه بالبحث في الفقرة التالية . مع ضرورة التنبيه على أنّنا منذ الآن سنعتمد المَرويّاتِ الشفويّة الشائعة بين أهلها في معالجة ما يطرحه البحثُ من إشكاليّات . وذلك بسبب الغياب التامّ للتاريخ المكتوب .

(5)

تُجمعُ تلك المَرويّاتُ على أنّه قبل نشوء البلدة لم يكُن في الموقع إلا ضريح شيث النبي ، الذي كان صغيراً ولا ريب ، ينتصبُ وحيداً في البقعة التي هي أشبهُ بوادٍ تُحيطُ به كثبانٌ متوسطة الارتفاع . وإلا نبعُ ماءٍ غير بعيدٍ كثيراً عن الضريح يقصده الرُّعاةُ والعابرون للاستقاء من مائه .

تُجمعُ الروايات نفسُها على أنّ أوّلَ مَن نزل البقعة غير المسكونة و استقرَّ فيها أُسرةٌ ربُّها لا يُذكرُ إلا باسمِهِ المُجرّد (الحاج حسن) . هو الذي منحَ الأُسرةَ التي تكاثرت فيما بعد حاملةً اسمَه . وحتى اليوم ما يزالُ من أُسرة الحاج حسن مَن يُقيمُ في البلدة . في حين تحوّلَ القسمُ الأكبرُ منها إلى سُكنى بلدة حوش النبي غير البعيدة حيث ما يزالون أيضاً حتى اليوم . وسنبدأُ منذ الآن في وضْعِ تصوّرٍ لتاريخ نموّ البلدة سُكّانيّاً استناداً إلى هذا المُنطَلَق .

هذه المَرويّات التي تمنحُ آل الحاج حسن رُتبةَ الأوّليّة في عُمران البلدة لاتقولُ ، وإنْ على نحو التقريب على الأقل ، متى كان ذلك . ولو انّها قالت لكان من

المُمكن أن تكونَ فائدةُ المعلومة أعمّ ، بحيث لا تقتصرُ على اسم الرائد ، بل بالإضافة إلى ذلك تاريخ بَدء عُمران بلدة النبي شيث . على أنّنا لن نُعدَمَ الوسيلةَ التي تُقرّبنا على الأقلّ من المقصود . ذلك أنّنا نعرفُ جيّداً أنّ كل الأُسرات التي تحملُ أسماءَ أشخاصٍ في الأصل : حاج حسن، حاج حسين، حاج موسى ، حاج يوسف ، حيدر أحمد، السيّد قاسم ، حسن . . . الخ . وهي كثيرة ، وتنتشرُ حصراً في وسط سهل البقاع ، وبعضُها الأقلّ في شرقيّه ــ ، هذه الأُسرات جميعها ترجعُ بأُصولِها إلى جبل لبنان . وما هذا النمط الغريب من أسماء الأُسرات ، والذي لانجِدهُ إلا في هذه المنطقة ، إلا إمارةٌ على التّشتُّت الذي نالها نتيجة الهجرة الإكراهيّة من مواطنِها الأصليّة . بحيث نشأت تجمُّعاتٌ سُكّانيّةٌ جديدة ، على رأسِها ربُّ العائلة المُهاجرة ، هو الذي منحها اسمَه فيما بعد، أي بعد أن نمت عدديّاً وباتت أُسرةً كبيرة . ذلك ما حصل لأُسرة الحاج حسن في موطنها ، أو بالأحرى في موطنيها النبي شيث وحوش النبي . بينما نلاحظُ أنّ الأُسرات الكبيرة التي انخرطت في الهجرة الكبيرة من جبل لبنان للسبب نفسه بأعدادٍ

كبيرة ، واتخذت لنفسِها مواطن جديدة : حماده ، مشيك ، علّوه ، ناصر الدين ، دندش ، شمص ، مقـداد ، كنعان ، قـد حافظت على أسمائِها الأصليّة في مواطنِها الجديدة في سهل البقاع وفي السفـوح المُطلّة عليه .

إذا نحن جمعنا بين هذه المُلاحظة وبين الحقيقة التاريخيّة الثابتة أنّ مُسلسل تهجير الشيعة من مواطنهم التاريخيّة في أنحاء جبل لبنان قد بدأ في أوائل القرن الثامن للهجرة / الرابع عشر للميلاد ، وبالتحديد سنة 706 هـ/ 1306م ـ ، نصِلُ إلى نتيجةٍ تقريبيّةٍ تقولُ أنّ بَدء عمران النبي شيث ، بنزول الحاج حسن بعائلته بقعتَها كما عرفنا، قد حصل بعد هذا التاريخ بالتأكيد ، بل ويمكنُ القول أن ذلك الـ " بعد " ليس بكثير . وذلك بالنظر إلى أنّ التنامي العـددي من عائلةٍ صغيرة إلى أُسرةٍ كبيرة كما هي الأُسرة اليوم ، يقتضي زمناً طويلاً لا يقلُّ عن عدّة قرون ، وفقَ ما هو مُتوقّع من نِسَب النموّ السُكّاني في تلك الأزمان[1] .

(6)

من الغني عن البيان أن ريادة الحاج حسن بعائلته كانت بدايةَ تمصير القرية الناشئة ، والبابَ الذي انفتحَ

أمام المزيد والمزيد من القادمين إليها. تبعهم فيما يبـدو آل شُكر ، ومنهم فرعٌ يُعرفون اليوم بآل هزيمة فيما يُقال ، والجميع يرجعون إلى آل شُكر السّادة الحسنيين ، الذين حكموا من قبلُ قسماً من جبل عامل من قاعدتهم في قانا أو عيناثا . وأتت نهايتُهم على يد آل علي صغير، بعد أن أنزلوا بهم مذبحةً هائلةً قضتْ على كلّ البارزين في الأُسرة . وهرب الناجون بأنفسهم شرقاً باتجاه سهل البقاع . ودائماً كان المُلاحَقون من ابناء جبل عامل ، من زُعماء ومن غيرهم ، يلجأون إلى سهل البقاع ، وبالعكس يلجأُ البقاعيّون عند الضرورة إلى جبل عامل .

والحقيقةُ أنّ قضيّةَ هذه الأُسرة هي محليّاً موضع تجاذُب وخلافٍ واختلاف . ليس على المسألة التاريخيّة التي هي محلّ عنايتنا ، وإنّما على مؤدّاها ، أي على أنّهم سادةٌ حسنيّون كآل شكر العامليين . والمسألتان وإن كانتا تتقاطعان إثباتاً ونفياً عند هذه النقطة ، ولكنّهما تختلفان من حيث المنهج بين المُعالجة الشرعيّة والأُخرى التاريخيّة .

بالنسبة إلينا ، نحن الذين نُعالجُ المسألةَ مُعالجةً تاريخيّةً ، فإنّ هناك جانبٌ منها لم يلتفت إليه أحدٌ من

قبلنا ، نراهُ يتمعّنُ في المسألةَ تحت ضوء القاعدة التي تقول أنّ كلّ حركة سُكّانيّة لا بُـدّ أن تتركُ أثراً ما على الطريق الذي تسلكه . وقد رأينا ذلك في الحركتيَن اللتين شكّلتا الصورةَ السُكّانيّة الحاليّة لسهل البقاع ، إحداهما انطلاقاً من أنحاء جبل لبنان ، والأُخرى من الجبال شرقي بعلبك . هذه القاعدة تجعلُ وظيفةَ المؤرّخ أشبه بعمل مُقتفي الأثر، الذي يكشفُ حركةَ مَن يُطاردُه من الآثار الضئيلة التي يتركُها وهو يتحرّك ، ممّا لاتراهُ إلا العينُ الخبيرة الحسنة التدريب.

هنا نُلاحظُ أنّ الأُسرات التي تحملُ اسم (شُكر) تنتشر على خريطة تمتدُّ من جبل عامل حتى وسط سهل البقاع : جبل عامل ، جزّين ، البقاع الغربي ، البقاع الأوسط . حيث نجِدُ في كلٍّ منها من يحمل هذا الاسم غير المألوف . فكأنّها بتوزيعِها هذا ، ترسمُ خريطةً لا يُحسنُ قراءَتَها إلا الخبير للطريق الذي سلكه أولئك الذين هجّوا طالبين الملجأ أينما تأتّى لهم . ليستقرّ بعضُهم هنا أو هناك بسبب مُلابساتٍ ما لانعرفها، وليستقرُّ أكثرُهم في بلدة النبي شيث ، ليكونوا المَدَد الثاني للبلدة الناشئة إلى جنب آل الحاج حسن . هذه

الخريطة هي إمارةٌ على جماعةٍ مُشتّتةٍ مذعورةٍ تبحثُ عن ملجأ تأمنُ فيه علـى نفسِها أينما كان .

إن صحّ ذلك ، وهو عندنا قويٌّ بما فيه الكفاية ، فإن نُزولَ آل شكر بلدة النبي شيث قد حصل أثناء أو بُعيدَ السنة 1059هـ / 1649م . وهي السنة التي حصلت فيها مذبحة الشُّكريين في عيناثا أو قانا على ما تقولُهُ عامّـةُ المصادر[2].

(7)

آل الموسوي ، وهي فيما يبدو ثالثُ الأُسرات نُزولاً في البلدة الناشئة ، هاجرت (ودائماً استناداً إلى ما تقولُهُ الرواياتُ الشفويّة) من موطنها الأصلي بلــدة إهْمِج في جبل لبنان، وهي اليوم بحسب القسمة الإداريّة الحاليّة في قضاء مدينة جبيل الساحليّة . لتنزل بجوار بلدة تمنين التحتا ، وسط سهل البقاع ، شمالي البلدة حيث مجرى نهر الليطاني . هناك استقرّ بها المقام مـدّةً غير معلومة ، ولكنّها لم تكُن بالقصيرة بالتأكيد، بدليل أنّ آثار البيوت والقبور في الموقع كانت خرائبُها ما تزالُ قائمةً حتى ما قبل بضع ع ـقودٍ من السنين ، قبل أن تجري تسويةُ الأرض بالجرّافات الآليّة تمهيداً لزراعتها . وذلك

على ما شهد به لدينا بعض المُسنّين من أهل تمنين ومن الأُسرة نفسها . ثم تحوّلوا عنها إلى سُكنى النبي شيث حيث مايزالون .

(8)

رابعُ الأُسرات نُزولاً هي آل الحلباوي ، ونحن هنا نسعى لتركيب الظهير السُكاني الحالي للبلدة ، وهـذه من كبار أُسراتِها .

هذه الأُسـرة ، التي تفرّقتْ بها السُبُل بعد أن استقرّتْ مدةً في النبي شيث ، وما يزالُ بعضُ أبنائِها هناك ، في حين تحوّل شطرٌ كبيرٌ منها إلى سُكنى دمشق وغيرها ــ ، هي الوحيدة بين رصيفاتِها الثلاث التي يبدو أنّها بالهجرة لم تخسر فقط وطنَها ، وإنّما أيضاً اسمَها الذي لابدّ أنّها كانت تحملهُ في وطنِها . واستبدلته أو استبدله الناس حيث حلّت ، باسمٍ يُشير إلى البلد الذي أتت منه . ولم يصِلنا في المَرويّات الشعبيّة الشفويّة ما يقولُ شيئاً على تاريخِها . كلُّ ما عندنا وعند أبنائها هو فقط ما يدلُّ عليه اسمُها ، أنّها نزلت البلدة قادمةً من حَلْبا . وهذه مدينةٌ ما تزالُ تُعرَف بالاسم نفسِه في محافظة عكّار شمال لبنان . نعرفُ انّها كانت من

المراكز الشيعيّة في المنطقة قبل دخول التركمان في الصورة السُكّانيّة للساحل اللبناني إجمالاً ، مع ما يُسامته من جبالٍ وهضاب . لذلك فإنّنا نظنُّ ظنّاً قويّاً أنّ نزولَهم النبي شيث حصلَ بعد آل الموسوي .

(7)

الأمرُ الجامعُ بين كلِّ تلك الأُسرات الأربع أنّها جميعها التقتْ في موطنها الجديد نتيجةَ هجرةٍ قسريّةٍ من مواطنها الأصليّة في جبل لبنان أوفي جبل عامل . وما ندري ما هوالسرُّ في ذلك . أعني أنّه إن يُكنْ السببُ في مُباينتِها أوطانَها خضوعها لظرفٍ قاهـر، لم يترك لهم خياراً إلا أن يخرجوا من ديارهم ، فما الذي جعلها تختارُ على التوالي نُزولَ تلك البقعة التي كانت جرداء يوم ذاك إلا من ضريحٍ ونبع ماء وقريةٌ صغيرةٌ في بقعةٍ شبه جرداء . في حين أنّ السهلَ الشاسعَ المُمتدُّ على مرمى النظر أمامها ، يُقدّمُ لها فُرصاً أفضل بكثير، بما فيه من أراضٍ خصبةٍ ومصادر للمياه ؟ خصوصاً وقد رأينا أن آلَ الموسوي قد نزلوا أولُ بقعةً من السهل بقُرب النهر، وذلك أمرٌ مفهومٌ جداً ، ولكنهم عادوا فتحوّلوا عنه إلى حيث ما يزالون.

تُرى هل هي جاذبيّة المقام وصاحبِه ؟ لا نملكُ أن نقولَ في الجواب إلا : اللهُ اعلم ! لكنّ ما يُسوّغُ السؤالَ على الأقلّ ، هو أنّ كثيراً من حوافز الناس للقيام بعملٍ ما كامنةٌ في أعماق تاريخِها الثقافي المَنسي . قد يضيعُ التاريخُ ويغدو نِسياً مَنسيّا ، وتبقى منه حوافز، قد تأخذُ شكل شعائر وطقوس وميول ُيمارسها الناسُ أو تُملي عليهم ما يفعلون ، دون أن يعرفوا لماذا .

وليحتفظ القارئُ الكريم بهذه المُلاحظة في ذهنه ، عسى أن تأخذَ معناها المُومى إليه بعد أن يعرفَ فيما سيأتي إن شاء الله في فصلٍ قادمٍ ما كان لنبي الله شيث عليه السلام من حضورٍ كبيرٍ في المنطقة ، في مرحلةٍ من مراحل تطوّر الحالة الدينيّة على أيدي الأنبياء المُتوالين ، نقرأهُ اليومَ فيما تركه الناس من مُختلف الإمارات .

خـلاصـة الفصـل

نشأت بلدة النبي شيث سُكّانياً نتيجةٍ هجراتٍ قسريّةٍ نزلت بالشيعة العُمّار التاريخيّون لجبل لبنان ، بالإضافة إلى هجرةٍ قسريّة أُخرى نزلت بأُسرة آل شكر ، الذين حكموا لفترةٍ بعضَ أجزاء جبل عامل جنوب لبنان .

أوّلُ نُزّالها من آل الحاج حسن ، الذين يبدو أنّهم قدموا من ناحيةٍ ما من نواحي جبل لبنان دون تحديد بُعيد أوائل القرن الثامن للهجرة / الرابع عشر للميلاد . ثم تلاهم آل شكر بُعيد السنة 1059هـ / 1649م ، ثم آل الموسوي قادمين أيضاً من جبل لبنان . ولكنّ نُزولهم النبي شيث كان بعد أن أقاموا لفترة في السهل شمال بلدة تمنين . آل الحلباوي هم آخر هجرةٍ كبيرة إليها . وهم كما يبدو من اسم الأُسرة قدموا من حلبا شمال جبل لبنان .

وما تزالُ هذه الأُسرات الأربع تُقيمُ بنسَبٍ متفاوتة في البلدة

هوامش الفصل

1 ـ استناداً إلى لوائح الشّطْب الانتخابيّة الرسميّة ، فإنّ عدد الذين يحقُّ لهم التصويت ممّن يحملون اسم(الحاج حسن) هم 1200 في شمسطار ، و600 في حوش النبي والنبي شيث ، و800 في شعث ، و700 في الشواغير. ومن المؤكّد أن مَن في النبي شيث وحوش النبي يرجعون إلى مؤسّس النبي شيث . وربما يُضافُ إليهم مَن يُقيمون في شمسطار. النتيجة أن هؤلاء يعدّون 1800 مُنتخب . هؤلاء يُمثّلون كتلة سُكّانيّة تُقدّر بـ 8000 شخص تقريباً ، هم حاصل 1800×5 ،1 ثم في 3 ، هم مَن لا يحقّ لهم الانتخاب لسببٍ أوغيره، ثم نسبة مَن هم دون السنّ القانونيّ .

النتيجة أنّه لكي تنمو عائلة شخص واحد (الحاج حسن) إلى هـذا العدد فهي تحتاج إلى مدّةٍ لا تقـلُّ عن قرون ، بحسب نِسَب التكاثُر السُكّاني في عصر البحث ، حيث كانت نســبة مَن يبلغون ســـنّ الشــباب من الأطفال هي1من3 .

(ندين بهذه الإحصاءات عن الأُسرة للصديق العزيز معالي الدكتور حسين الحاج حسن) .

2 ـ علي الزين: للبحث عن تاريخنا في لبنان ،ط. بيروت 1393هـ / 1973م / 275. محسن الأمين : أعيان الشيعة ، الطبعة الأُولى : 109/9(ضمن الترجمة للسيد أحمد بن علي بن

شكر) . محمد تقي الفقيه : جبل عامل في التاريخ ، ط. بيروت 1406هـ/1986م :176/1.

---

2 ـ النبي

(1)

تُجمعُ الأخبار من مختلف مصادرِها التي بين أيدينا ، القديمة منها والإسلاميّة ، على أن شيث هو الابنُ الثالث لأبي البشر آدم من حوّاء . رُزقا به بعد مقتل ابنهما هابيل على يد أخيه قابيل . ومن هنا أتى اسمُهُ ، الذي يعني بلغة ذلك الزمان (هبةُ الله) ، من حيث أنّهُ تعالى وهبهما إياه تعويضاً لهما عن أخيه القتيل .

ثم أنّها تُجمعُ أيضاً على أنّ آدمَ حين أحسّ أو عرفَ بدنوّ الأجَل أوصى بالأمر من بعده لابنهِ شيث ، وذلك بأمرٍ من ربّه[1] . ممّا يدلُّ على أن نموَّ البشريّة ، على قلّةِ عددها في ذلك التاريخ المُبكّر ، كان خاضعاً لتخطيطٍ وتدبيرٍ ربّانيٍّ دقيق . سنعرفُ فيما سيأتي إن شاء الله أنّه سيستمرُّ من بعدُ على النهجِ نفسِه . والذي يُحسنُ تدبُّرَ آياتِ الكتاب الحكيم يُمكنُهُ أن يرى في هذا التدبير شيئاً ممّا أومى إليه المولى سبحانه في قصّة الخلق ، من ضُروب العناية والمواهب بهذا الخلق الجديد ، وذلك إذ بيّن للملائكة فقال :" **إنّي أعلمُ ما لا تعلمون** " جواباً على قولهم :" **أتجعلُ فيها مَن يُفسِدُ فيها**

ويسفكُ الدماء " [2] .

(2)

هكذا يكون شيث ثاني الأنبياء وأوّلُ الأوصياء . به تتابعتْ النبّوة و به تأسّستْ الوصاية . ثم سارت النبوّاتُ من بعده على النهج عينِه ، لم تخرج عليه ، دائماً الوصاية بموازاة النُبوّة . بحيثُ أنّ كلَّ نبيٍّ من أُولي العزم يوصي للنبي ـ الوصي من بعده . وهذا يوصي بدوره لنبيٍّ ــ وصيٍّ من بعده . وهكذا إلى أن يُبعثَ نبيٌّ من أُولي العزم ، فتنقطعُ سلسلة الأنبياء ــ الأوصياء ، لتبدأ بالوصاية الأُولى بنصّه عليه . ولتبدأ سلسلةٌ جديدة من الأوصياء بعد النبيّ على النهج نفسه . واستمرت المسيرة على هذا النحو المُتوازي ، ولم تنفصل إلا ببعث خاتم الرُّسُل صلواتُ الله عليه وآله ، فانفصلتْ الوصايةُ عن النبوّة ، لمكان خَتْم النبوّة وانقطاع الوحي . وإلى ذلك ألمحَ الحديث النبويّ المشهور :" ياعلي أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلا أنّه لا نبيَّ بعدي" [3] . كما أنّه وردَ بنحوٍ أشمل وأبين في نبويٍّ آخَر ، حيث خاطب عليّاً عليه السلام فقال :" يا عليّ أنت منّي بمنزلةِ شيث من آدم ، وبمنزلة سام من نوح ، وبمنزلة إسحاق من

إبراهيم ، وبمنزلة هارون من موسى ، وبمنزلة شمعون من عيسى " [4] . وقد أكّدَ الإمامُ نفسُه هذا المعنى في خُطبته الشّهيرة بخُطبة يوم الغدير ، بما يُفيد أنّ هذا اليوم ليس بِدعاً من الأيّام في أعمال الأنبياء ،وأنّ مثلَه قد سبق منهم جميعاً حيث قال :" هذا [يعني يوم الغدير] يومُ شيث ، هذا يومُ إدريس ، هذا يومُ يوشع ، هذا يومُ شمعون " [5].

(3)

ذلك البيان بمُختلف درجاته ومُندَرَجاتِه يُحرّكُ انتباهَنا إلى مسألةٍ في غاية الأهميّة ، هي أنّ الإيصاءَ والوصيّةَ هي سُنّةُ الله الدائمة في خلقِه . بدأتْ مع نُشوء أوّل جماعةٍ إنسانيّة ، ولم تتوقّفْ من بعدُ لحظةً واحدة . وما تزالُ مُستمرّةً حتى اليوم بشخص إمام العصر. وأنّ شخص الوصي إنّما يتحدّد بالنصّ عليه حصْراً . ذلك ما حصل بنصّ آدم على شيث ، ثم بنصّ كلّ نبي أو وصي على خلَفه . وذلك هو المشروع الذي اشتغلَ عليه فكريّاً المُحدّث والمؤرّخ الكبير علي بن الحسين المسعودي رضوان الله عليه في كتابه الجليل (إثباتُ الوصيّة) . حيث تتبّعَ حركةَ الوصيّة والإيصاء بعقل المُنظّر ودقّةِ

المُؤرّخ الكبير، فأتى كتابُه عملاً مُتكاملاً لم ينسج أحدٌ على منوالِه لا من قبله ولا من بعدِه . نعم ، ألمّ بالموضوع إلماماً الشيخُ الصّدوقُ في كتابه (كمالُ الدّين وإتمامُ النعمة) ، مُتتبّعاً خطوات المسعودي خطوةً خطوة .

(4)

نقولُ كلّ هذا في سبيل بيان موقع نبي الله شيث عليه وعلى نبينا وآله أفضل الصلاة والسلام في حركة الإيمان التي قادها مدّة بوصفه نبيّاً ــ وصيّاً . ثم لنبني على ذلك موقعَه في التّراث الإيماني ، كما نقرأهُ في مختلف تجلّياتِه .

فمن ذلك ، بل في رأسِه ، أنّه هو أيضاً أوّلُ مَن تلقّى من وحي ربِّه ما هو برسم التبليغ للناس . ذلك ما يُسمّيه القرآن بـ (الصُّحُف) تمييزاً له عن (الكُتُب) المُنزَلَة ، تلك التي يصفُها بـ " **الأُولى**" ، " **إنّ هذا لفي الصّحُف الأُولى صُحُفِ إبراهيم وموسى** " ، أي بالنّظر لترتيب النُزول زمنيّاً بالقياس لـ (الكُتُب) .

وفي الحديث أنّ الصحابيَّ أبا ذرّ سأل النبيّ صلوات الله عليه وآله : " ما كانت صُحُفُ إبراهيم ؟ "

فقال : " إقرأ يا أبا ذرّ : **قـد أفلح مَن تزكّى . وذكـر اسـمَ ربّهِ فصلّى . بل تؤثرون الحياةَ الدُنيا . والآخرةُ خيرٌ وأبقى . إنّ هذا لفي الصُحُفِ الأُولى ، صُحُفِ إبراهيم وموسى "**[6]. ومن الواضح أنّ النبيّ قد ألفتَ صاحبَه بهذا الجـواب البـديع إلى أنّ الآيـاتِ الأربعة الأُولـى أُنمـوذجٌ عمّـا في تلك الصُحُف[7] . وعلى ذلك بنى فقهاءٌ ومُفسّرون ومُتكلّمون أنّ تلك الصُحُف كانت أيضاً وحياً مُنزَلاً كالكُتُب ، ولكنّها عبارةٌ عن حِكَمٍ ومواعظَ وآداب ، ولم تتضمّن أحكاماً وشرائع كالكُتُب المُنزَلة . وعلى ذلك بنى فقهاءٌ أنّ أحكامَ أهل الكتاب تشملُ فقط مَن أُنزلت عليهم وآمنوا بها ، دون أصحاب الصُحُف . وسنقِفُ عند هذه المسألة عن قريبٍ إن شاء الله .

(5)

على أنّ القرآن لم يأتِ على ذكر صُحُفٍ مُنزَلةٍ على شيث . وإنما اقتصر على ذكر صُحُفِ إبراهيم وموسى في سورتي النجم والأعلى وعلى زَبور داود [8]. والأوّلان كلاهما من أولي العزم ، أي النَّبوّة العامّة ، وموسى بالخصوص صاحبُ كتاب ، كما هو معلوم . وما ندري ما هو السرُّ في ذلك .

لكنّ الأحاديثَ المُتضافرة تذكرُ أيضاً صُحُفَ شيث وإدريس ، بل إنّها تقول أنّ صُحُفَ شيث خمسون صحيفة ، بينما كانت صُحُف إبراهيم عشرين ، وصُحُف إدريس ثلاثين [9] . ومن ذلك نفهمُ أنّ صُحُفَ شيث لم تكُن الأُولى نُزُولاً فقط بل الأكثرَ عدداً . وأن نُزولَ الصُحُفِ على أولئك الأنبياء الثلاثة ، بما فيها من حِكَمٍ ومواعظَ وآداب دونَ الشرائع والأحكام ، كانت بمثابةِ تمهيدٍ مرحليٍّ ، من ضمن خِطّةٍ شاملة لتربيةِ البشريّة المُتكاثرة وإعدادِها على نهج الإيمان والقسط . الإيمانُ في الحِكم والمواعظ ، والقسطُ في الشرائع والآداب . تابعتها الكُتُبُ المُنزلَة فيما بعدُ بما فيها من أحكامٍ وشرائع . وعن طريق التأمُّل في هذه المُلاحظة يُمكنُنا أن ندخلَ إلى المفهوم القرآني لحركة لتاريخ الإنساني ، ودورِ نبي الله شيث التأسيسي والمُتميّز في حركتِه المُتطوّرة .

(6)

هناك من الأدلّة ما يكفي على أنّ صُحُف شيث قد انتشرت انتشاراً واسعاً إبّان حياتِه ، وأنّها بقيت من بعده لمُدّةٍ طويلة الكُتُبَ الدينيّة الرئيسة في المنطقة الشّاميّة

ووادي الرّافدين على الأقلّ ، أي إلى حين نُزول الصُحُف والكُتُب التالية . ممّا لا نزالُ نجِدُ آثارَه وأصداءَه لدى غير فرقة من الفرق الدينيّة العريقة في المنطقة . نخصُّ بالذكر الصابئة المندائيين في العراق .

ومن المعروف أن صابئة العراق هم أصحابُ أوّلِ ديانةٍ توحيديّةٍ في العالَم . يؤيّدُ ذلك أنّ القرآن قد ذكرهم القرآنُ مرّتين بين المُمثّلين لحركة الإيمان في طورٍ من أطوارِها ، وذلك في قوله تعالى :

" إنّ الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين مَن آمنَ بالله واليوم الآخِر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون "[10] .

" إنّ الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى مَن آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون " [11].

ولكنّ بعضهم، شأنَ كثيرٍ من أصحاب الديانات التاريخيّة ، حملوا معهم أثناء عبورهم بعض الثقافات المحلّيّة ما أخرج بعضَهم عن نهج التوحيد الصافي إلى حدّ الشّرْك . وبينما نرى بعض الفقهاء يذهبُ إلى أنّهم من أهل الكتاب ، رأينا فقيهاً معاصراً يُفصّل في ذلك ،

بلحاظ أنّهم اليوم ليسوا كما كانوا في الأصل فرقةً واحدةً لها حكمٌ واحد. بل إنّ منهم مسيحيّون ، ومنهم عَبَدة أوثان يُقدّسون الكواكبَ والنجوم ، ومنهم مَن ينتمون إلى شيث بن آدم ويحي بن زكريّا . يُسمّيهم نصارى تلك النواحي (يوحنّاسِيّة) [12] ، نسبةً إلى يحيى بن زكريّا ، وهو آخرُ الأنبياء في مُعتقدهم . وذلك كلامٌ دقيقٌ وصائب . وبالتالي فإنّ لكلٍّ من هذه الفِرق الثلاثة حكمُها المُناسب .

وممّا لاريب فيه أنّ أولئك اليوحنّاسيّة قومٌ يؤمنون بالخالق جلّ وعلا ، وأنّه واحدٌ أزليٌّ لا أوّلَ لوجوده ولا نهاية ، مُنزّهٌ عن المادّة لا تنالُهُ الحواسّ. وأنّه لم يلِدْ ولم يولد . وهو علّة وجود الأشياء ومُكوّنُها . كما يؤمنون بالحشر والمعاد . فضلاً عن أنّ من شعائرهم الدينيّة الوضوء والصوم والصلاة ، وشعارهم الذي يستفتحون به : باسم الله المُتعالي [13].

والذي نظنه أنّ الذين أتى القرآنُ على ذكرهم ، واصفاً إياهم بأنّهم " **مَن آمن بالله واليوم الآخِر** " وأنّهم " **لاخوفٌ عليهم ولا هم يحزنون** " ، هم مَن لم ينحرف عن خط شيث وما أُنزل عليه . وذلك طبعاً قبل بعثــة النبي

العام التالي إبراهيم وجميع مَن تــلاه من الأنبياء . لأن منظور القرآن هو أن النبوّة وحدةٌ مُتكاملة من مُرسِلٍ واحد سبحانه . ولذلك فينبغي الإيمان بجميع الأنبياء دون تمييز " **إنّ الذين يكفرون بالله ورُسُله ويقولون نؤمنُ ببعضٍ ونكفرُ ببعض ويُريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا . أولئك هم الكافرون حقا . . . . .** "[14] .

(7)

مهما يكُن فإنّ ما يهمُّنا من شأن هؤلاء ، بصرف النظر عن النظرة الحاليّة إليهم ، أمران :

ــ الأمر الأوّل: انتشارهم الواسع من سوريّة إلى جنوب العراق فغرب إيران . وهو انتشارٌ يستندُ دون ريب إلى حالةٍ تاريخيّةٍ أكبربكثيرعميقةٍ في الزمان. وماهؤلاء المُسمّون بالصابئة اليوم إلا البقيّة الباقية من انتشارٍ أكثف بما لا يُقاس ، بعد أن أخذت النبوّاتُ المتتالية ما أخذتهُ من كتلتِها البشريّة . كما فعلت بأتباع غيرها من الأديان .

ــ الأمر الثاني : قولُهم أنهم ما تزالُ في حوزتهم الصُحُفَ المُنزلة على شيث ، ضمن كتابهم المُقدّس المُسمّى (جنز اربا) = الكنز العظيم . وذلك قولٌ يمكنُ

المُناقشةُ فيه من زوايا مُتعدّدة . ولسنا نملكُ الآن له قبولاً ولا ردّاً. وليس ذلك ممّا يهمُّنا فيما نُعالجهُ من هذا البحث على كلّ حال . لأن غرضنا في كلِّ هذا محصورٌ في دلالته على انتشار حضور نبي الله شيث الواسع في تلك المنطقة التي شهدت أكثرَ من سابقةٍ حضاريّة ، بحيث تُعتبّر بحقٍّ من المنابت الأساسيّة للحضارة الإنسانيّة . وذلك أمرٌ يكفي فيه ما وصفناه من انتشارٍ واسع للصابئة ، وادعاؤهم المرجعيّة في دينهم إلى نبي الله شيث كيف كان . وفيما اقتبسناه قبل قليل على مُعتقداتهم وشعائرهم لدليلٌ قاطعٌ على أصالة ديانتهم . ومن هنا ذكرهم القرآن بوصفهم جزءً من حركة الإيمان المُتطوّرة في طورٍ من أطوارِها .

هذا ، ويُؤخَذُ من بعض المصادر ، أنّه كان في مصر منذ القرن الرابع الميلادي فرقةٌ يُسمّون (الشيثيّون) . وأنّه كان في حوزتهم "شرح سُنن شيث" . وهي ، فيما يُقال عبارةٌ عن سبعة كُتُب لشيث ، وسبعةٌ أُخرى لأبنائه (؟!) [15] . ونقولُ تعليقاً على هذه المعلومة مثلما قُلنا على ما عند الصابئة ، أن ليس المُهمّ لدينا التدقيق في صحّة تلك الكُتُب ، بل مُجرّد ادعائهم ،

من حيـث دلالتُهُ على وُصولِ حضور شيث إلى تلك البقعة من منابت الحضارة الإنسانيّة الأساسيّة .

ونذكرُ في ختام هذا السّـرد ، ما يُقالُ عن ورِقة بن نوفل ، الذي يُذكَرُ غالباً في المصادربوصفه ساعـياً حثيثاً عن الإيمان الصحيح قُبيل البعثة النبويّة ـ ، أنّه قرأ صُحُفَ شيث وصُحُفَ إبراهيم [16] . فهـذا خبرٌ إن صحّ يدلُّ على أنّها كانت مُتاحَـةً لمَن يبحثُ عنها في زمانِه .

(8)

إن فائدة هذا السّبر الواسع ، الذي خُضنا بـه في أعماق التاريخ البعيد لمنطقةٍ شاسعة تمتدُّ من مصر إلى إيران ـ ، أنّه يُبيّنُ لنا الحضورَ القويّ لثاني الأنبياء في الثقافة الدينيّة السّائدة فيها كلّها . ممّا لا نجِدُ له مثيلاً لدى كلِّ أنبياء الفترة ما بين أُولي العزم عليهم وعلى نبينا وآله افضل الصلاة والتسليم . لم نُغادر فيه إلا ما يُقالُ إجمالاً على موقعه في عـقيدة الدروز ، ممّا لم نتمكّن من بسط الكلام عليه ، لا لسببٍ إلا لصعوبة الحصول على معلومات مُباشرة في كلّ ما يخصُّ عقيدة وشعائر هذه الطائفة .

إذن ، فهـذا كلّه ما يرجعُ لِما نُسمّيه الحضور الثقافي ، وإن شئنا قُلنا الحضور في الحالة الإيمانيّة بالمعنى العام للكلمة .

فماذا عن حضورِه في الحالة الحضاريّة ؟

(9)

ونعني بـ " الحالـة الحضاريّـة " ما يتمثّلُ فـي معالمَ مادّيّة ، ممّا يتركهُ الخلفُ للسلف ، ما كان منها باقياً ماثلاً بنحوٍ أو غيره ، وما كان منها مذكوراً في المُحرّرات من كُتُبٍ ووثائق .

فمن أوّل وأولى ما يُذكرُ في هـذا الباب ما جاء في الخبر القائل : " إن أوّلَ مَن بنى الكعبة شيث وكانت من قبله خيمة "[17] .

والمعروف إلى حدِّ الشُهرة أنّ بناءَها الأوّل قد تمّ على يد آدم [18] . والجمعُ بين الخبرين يصحُّ بالقول أن بناءَها قد تـمّ في المرتين بالمواد الطبيعيّة المُتوفّرة ، أي بالحجر الطين . وهي موادٌّ لا تصمدُ طويلاً لعوامل الطبيعة العنيفة في الصحراء . فكانت تنهدم ليُعادَ بناؤها مراراً . ولم تستتمّ بناءً ويستمرّ إلا على يد إبراهيم . لأنّ بناءَها هذه المرّة قد ترافق مع بدء عمران مُحيطِها ،

بحيث ساغ لإبراهيم أن يَصِفَ نطاقَها بـ "**البلد** " **: "ربِّ اجعل هـذا البلد آمناً "** [19]، وإن مجازاً على نحو الأوْل والمُشارفَة . ذلك ما يُستفادُ من قوله تعالى :" **ربنا إنّني أسكنتُ من ذريتي بوادٍ غير ذي زرعٍ عند بيتك المُحرّم . . ."** [20]. كما أنّ مايُستفادُ من قوله تعالى : " **وإذ بوّأنا لإبراهيم مكانَ البيت . . . ."** [21] أنّ قواعدَ البيت ومكانَه كانت مَبنيّة قبل إبراهيم ، وأنّه إنّما بُوّأ وهُديَ إليها ليبنيها البناءَ الذي سيستمرُّ ويبقى من بعدِه إلى الآن . كما أنّ التدبُّر الدقيق في قوله تعالى : " **إنّ أوّلَ بيتٍ وُضع للناس للذي ببكّة . . . . "** [22] يؤدّي بالمتأمّل إلى النتيجة نفسها .

في هذا السياق من الفذلكة التاريخيّة وتدبُّر آيات الكتاب ذات العلاقة ، فإنّه يبدو من غير المُمتنع بل من المقبول من حيث المبدأ القولُ أن شيث هو أوّلُ من بنى الكعبة ، على ما جاء في النصّ المُقتبَس أعلاه .

خصوصاً وأنّ القارئ قد أصبح عارفاً بأنّ الخطوات العمليّة الإعداديّة للبشريّة المُتنامية قد بدأت في عهد شيث وعلى يدِه ، ومنها وعلى رأسِها إنزال الصُحُف ومن ثـمّ نشرها ذلك الانتشار الواسع الذي بسطنا القولَ عليه ذلك البسط .

(10)

في هذا السياق من البحث تُـذكَـرُ إشاراتٌ غامضةٌ ، ولكنّها إجمالاً ذات دلالةٍ هامّـةٍ على ما نُعالجهُ في هـذه الفقرة . من ذلك ما يصِفُ شيث بأنّه أوّلُ مَن عاقبَ بالقتل ، وأنّهُ أوّلُ مَـن تقلّد السيف ، وأوّلُ مَن مدّن المدائن وبستنَ البساتين ، وأنّ صنعةَ الحياكة منسوبةٌ إليه [23] .

المغزى الإجمالي لهذه الأوصاف أن أعمالَهُ ، إنْ صحّتْ الأخبار ، كانت مُفتَرقاً أساسيّاً في تطوّر الحضارة الإنسانيّة ، وأنّه هو رائدٌ كبيرٌ من رُوّادِها . على أنّنا لا نعرفُ بالضبط ماذا تعني تلك الأوصاف ، وهي الآتية من أزمانٍ سحيقةٍ في تاريخ البشريّةِ المُبكّر ، لسنا نعرفُ عنها إلا بمقدارما قـد تركت من آثارٍ مادّيةٍ إنْ كانت ، وبمقدار ما تحكيه . فمثلاً ماذا يعنـي " **تمدين المدائن وبستنة البساتين** " في ظلّ العدد القليل للبشـر المُفترَض على عهـده ؟ هل يعنـي ، مثلاً أيضاً ، بَـدء استقرار البشر في تجمُعاتٍ سُكّانية وبَـدء استثمار الأرض بالزراعة ؟

ولكنّها ، من الجهة الأُخرى ، تحكـي أصـداءً

وانطباعاتٍ يستحيلُ أن تكونَ كاذبةً ، سكنت ذاكرةَ البشريّة آلاف السنين ، وتناقلتها الأجيال بعد الأجيال ، إلى أن وجدت من يُسجّلها من أرباب التاريخ ، أخذاً من المذخورات الشعبيّة ، كما هو شأنُ أخبار الأُمم إجمالاً قبل أن تأتي مرحلةُ التسجيل .

بيدَ أنّ هاهنا وصفٌ من تلك الأوصاف لابُدّ من التوقُّف عنده مُتساءلين على الأقلّ ، هو :

هل ثمّةَ من علاقةٍ بين ما قيل على تمدينه المدائن ، حسب تلك الأخبار، وبين تلك المجموعة من البلدان الثمان المنسوبة إليه التي ذكرناها فيما فات ، وهي للتذكير: جبشيث ، حبشيت ، عدشيث (قريتان بالاسم نفسه في جبل عامل) ، حدشيث، ب رعشيث، عمشيث، كْفَرياشيث ؟

نحن ، طبعاً ، لا نطمعُ بجوابٍ مُؤكّدٍ على السؤال لأسبابٍ غير خفيّة . ولكن علينا أن نُلاحظَ ما يلي :

ــ أولاً : أنّ هاتيك الأسماء هي بلغاتٍ قديمةٍ جدّاً ، ولا تنتمي إلى أيّ لغةٍ من اللغات القديمة المعروفة لأهل الاختصاص ، بما فيه الآراميّة السوريّة أقدمُ لغةٍ

نعرفُها سادت المنطقةَ الشاميّة ، أي أنّهـا بالنتيجة قديمةٌ جداً وسابقةٌ على هـذه اللغة .

ــ ثانيا : أن اللاحقة " شيث " في أسمائها تعني النبي ليس غير . ولا عِبرة عندنا بما يُقال أنّها أسماء آلهة ممّا كان يعبـدُهُ القدماء . وقد بيّنّـا ذلك فيما فات .

ــ ثالثاً : أن هـذه الأسـماء محصورةٌ في بقعـةٍ متقاربة من خريطة لبنان السياسي اليوم . تمتدُّ على خطٍّ طوليّ من حبشيث في الشمال (في قضاء عكّار اليوم)، إلى عـدشيث في الجنوب (في جبل عامل) . يمتدّ الخطُّ على مسافة سبعين كيلو متراً تقريباً . ممّا لا مفرّ من أن نفهمَ منه أنّ الإرادةَ التي اختارت تلك الأسماء التي تحملُ اللاحقةَ نفسها هي إرادةٌ واحدة ، رمَـت بذلك إلى أمـرٍ واحد ، وكانت موجودةً في تلك البقعة . وهي إرادةٌ تعلّقتْ باسم النبي شيث دون غيرِه . وكأنّ مُمصّرها الأوّل قد تحرّك وفقَ خطّةٍ مُحكَمَةٍ ومشروعٍ واحد . وياليتنا نعرفُ معاني البادئات في تلك الأسماء (جب، حب، عـد، حد، بَر، عـم) . لربما أعاننا ذلك على تخمين منظور واضعها ، وقرّبنا خطوةً أُخـرى باتجاه الجواب .

نتيجةُ هـذا التحليـل ، أنّ الظـنّ القـويَّ بأن تلــك البلدان هي ممّا مصّره نبي الله شيث تتقاطع عنده معلومتان :

ـ الأولـى : القولُ أنّه أوّل مَن " **مـدّن المدائن** " ،

ـ الثانية : وُجود ذلك العدد الجَـمّ من البلدان المُتجاورة التـي تحملُ اسمَه .

هـذا التقاطُع ومثله من أقوى الأدلّة للمؤرخ . فضلاً عن أنّه من المعلوم أن أسـماء البلدان هي من أكثر الأسماء ثباتاً على عوادي الزمان بحيث تبقى آلاف السنين . وأمثلةُ ذلك غير عـزيزة في المراكز الحضاريّة القديمة .

خـلاصـة الفصـل

إن دراسة شخصيّة وسيرة نبي الله شيث عليه وعلى نبينا وآله أفضل الصلاة ، تقفُ بنا على أنّه قد ترك تأثيراً عظيماً طيّباً في غير حقل . منها ما لا يزالُ ماثلاً فاعلاً حتى اليوم .

يجب أن نعي جيّداً أنّ كافّة إنجازات هذا النبي هي بوصفه نبيّاً ــ وصياً . بوصفه نبيّاً يتلقّى وحيَ ربّه . وبوصفه وصياً يُتابع ويُكمل رسالةَ مَن سبقَه . النبيُّ العامُّ من أُولي العزم يضعُ الأساس : يُكملُ الدينَ ويُتمُّ النعمةَ ، نعم ، ولكن التحويل ولو خطوة إلى الأمام باتجاه مُجتمع القسط ، الغايةُ النهائيّة للرسالات والشّرائع **" لقد أرسلنا رُسُلنا بالبيّنات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقومَ الناسُ بالقسط "** [1] يقتضي الزمنَ الطويل وحياةَ أجيال . وعلى هذه القاعدة انبَنَتْ فكرةُ الوصاية ، التي بدأت بشيث ، واستمرّتْ من بعده إلى اليوم بشخص إمام الزمان عجّل الله فرجه ، الذي ستتحقّقُ على يده الغايةُ القصوى للبعث والتنزيل .

ثم أنّ التلازُم بين صفة الأوّليّة وسيرةِ هذا النبي

هي مفتاحُ دورِه مُبلّغاً عن ربّه ، وهي مفتاحُ دورِه رائداً حضاريّاً في التاريخ المُبكّر للبشريّة .

مُبلّغاً بأن تلقّى من ربّهِ أوّلَ تنزيل ، انتشرَ في مناطق واسعة في المراكز الحضاريّة الأُولى : الشام ووادي الرافدين ووادي النيل . وحتى اليوم ما يزالُ مَن يقول أنّ في حوزته صُحُف شيث .

رائداً حضاريّاً بما تقولُهُ تلميحاتٌ آتيةٌ من وراء الحِقَب ، تقولُ أنّه أوّلُ من أنشأ تجمُّعات سُكّانيّة ثابتة ، وأوّلُ من نظّم استثمار الأرض بالزراعة . وفي لبنان اليوم ثماني قُرى مُتجاورة تحملُ اسمَه ، ربّما كانت الآثار الباقية بعد آلاف السنين من بادرته الأُولى .

———

هوامش الفصل

1 ـ محمد بن الحسن الحرّ العاملي : الجواهر السّنيّة ، ط. قم 1373هـ / 30 بسنده : " قال الله عزوجلّ يا آدم إنّي أكرمتُ الأنبياءَ بالنبوّة وجعلتُ لهم أوصياء وجعلتهم خير خلقي فاوصِ إلى ابنِكَ شيث " .

2 ـ البقرة / 30 .

3 ـ الفيض الكاشاني : الوافي ، ط. إيران طباعة حجريّة ، لات / 294 : " إنّ الأنبياء الذين تقدّموا عصر نبيّنا كان أوصياؤهم أنبياء . فكلُّ وصيٍّ قام بوصيّةِ مَن تقدّمه كان نبيّاً . وأوصياءُ نبيّنا لم يكونوا أنبياء لأنّ الله ختم بمحمد النبوّات " .

4 ـ ينابيع المودّة ، الباب 16 ، ص / 85 .

5 ـ الشيخ الطوسي : مصباحُ المجتهد / 276 ، ابن طاوس : إقبال الأعمال : 2 / 258 ، الكفعمي : المصباح / 699 ، المجلسي : بحار الأنوار : 27 / 164 .

6 ـ الأعلى 14 ـ 19 .

7 ـ ويمكنُ أن نُضيفَ إليها نماذجَ أُخرى هي الآيات الأخيرة من سورة النجم . وما في الآية 105 من سورة الأنبياء .

8 ـ وآتينا داود زَبورا (النساء / 162) .

9 ـ انظر ، مثلاً ، حديثاً عن أمير المؤمنين عليه السلام في الوافي : 2 / 320 . " كانت صُحفُ إبراهيم عشرين ، وصُحُفُ إدريس ثلاثين ، وصُحُف شيث خمسين " . وفي معاني الأخبار للشيخ الصدوق بسنده / 334 : أنّ الله تعالى أنزل مائةً وأربعة كتُب . أنزل منها على شيث خمسين صحيفة .

10 ـ البقرة 62 .
11ــ المائدة / 69 .
12 ـ المنتظري : دراساتٌ في ولاية الفقيه : 3 / 406 .
13 ــ انظر شهادة المؤرّخ العراقي السيد عبد الرزاق الحسني رحمه الله بشأنهم . وهو الذي صنّف كتاباً عليهم ، نسبهم فيه إلى الوثنيّة وتقديس الكواكب . ولكنّه بعد أن اطّلع على كُتُبهم كتب مقالةً وصفهم فيها بما قلناه أعلاه ، وعنها اقتبسنا الفقرةَ مرجعَ هذا الهامش . مجلة العربي ، العدد 112 سنة 1968 .
14 ـ النساء / 150 ــ 51 .
15 ـ دائرة المعارف الإسلامية (الترجمة العربيّة) : س . إيوار ، مادة "شيث " .
16 ـ بحار الأنوار : 16 / 21 .
17 ـ العيني : عُمدة القاري : 9 / 21 و 16 / 288 .
18 ـ عن علي عليه السلام من حديث : " . . . آدمُ بنى منه ما بنى وطاف به . ثم الأنبياء من بعدِه . ثم استتمّ بناءَه إبراهيم عليه السلام (فتح الباري : 6 / 406 و 409) . وانظر : الأزرقي : أخبار مكة ، ط. بيروت 1389هـ/1969م / 36 وما بعدها.
19 ـ إبراهيم / 35 .
20 ـ إبراهيم / 37 .
21 ـ الحج / 26 .
22 ـ آل عمران / 96.
23 ـ علي بن زيد البيهقي : تاريخ البيهقي / 15 والعيني : عُمدة القاري : 1 / 16 .

---

3 ــ المقام

يبدو أن مقامَ النبي شيث هـذا كان موجوداً دائماً حيث هو . أي قبل كلّ التأريخات المتعلّقة به ، ما كان منها رواياتٍ شفويّة ، وما كان منها تسجيلات . وهذا دليلٌ قويٌّ على أصالته . فالمُزيّفُ والمُصطَنَعُ له دائماً تاريخٌ قريب ، ليس من الصعب على أهل الخبرة كشفَ ما يُخبّئُه .

نعني بالتسجيلات بالدرجة الأُولى نصَّ الوثيقة على الوقفيّات للأرض التي يقومُ عليها المقام ولعددٍ من العقارات برسم المقام والنفقة على مصالحه . نُظّم النصُّ وصُودق عليه مراراً أمام المحاكم في بعلبك ودمشق . وما تزالُ صورةٌ منه بين الأيدي في البلدة . وسنُخصّصُ الفصلَ التالي لنصّها ، مشفوعاً بدراسةٍ على سندها وتحليلٍ لمضمونِها .

والفضلُ في وُصولِ هذه الوثيقة إلينا هو للناس الذين توارثوا الاهتمامَ بها . وذلك اهتمامٌ يستحقُّ منّا كلَّ التقدير. وياليت الناسَ اهتمّوا دائماً بمثلِ هذا ، إذن لَما ضاع تاريخُهُم ، ولَما استولت السُلطةُ دائماً على التاريخ

المكتوب ، على حساب تغييب التاريخ الإنساني .
وأوّلُ ما يُؤخذُ من تلك الوثيقة أنّه في السنة 518 هجريّة / 1124 ميلاديّة كان هناك حيث هو اليوم بناءٌ ما معروفٌ بأنّه ضريح النبي شيث (مشهد بحسب الوثيقة) . وأنّه كان ضمن أرضٍ مملوكةٍ لتاجرٍ ثري (خواجه) ، يملكُ بالإضافة عقاراتٍ واسعة قريبة أو على شيءٍ من البُعد . وأنّه كان يتخذُ من البناء الذي فيه الضريح مسكناً له ، كان يعيشُ فيه عيشةً أشبه بعيشة ناسك ، مع أنّه كان تاجراً ثريّاً كما عرفنا . وهذا يدلُّ على قوّة حوافزهِ الدينيّة ، بحيث أنّه في خواتيم حياته أقدمَ على وقف كافة أملاكِه فيما يبدوعلى المقام ، وهي أملاكٌ شاسعة ، تمتدُّ حتى جوار قرية بيت شاما ، على مسافة زُهاء العشر كيلو مترات عن بلدة النبي شيث .
بهذه البادرة الجميلة الكريمة تحوّل المقامُ بحيث غدا شأناً عامّاً . وما من شكٍ في أن هذا التحوُّل كان له أثره على نظرة الناس في المنطقة إليه . خصوصاً وأنّ صيغةَ الوقفيّة لحظت تقديمَ خدمات للواردين ، من ضمنِها تقديم الطعام والإقامة لهم . فضلاً عن رعايته بالتوسعة والترميم . ثم أتى نُزولُ الحاج حسن بأُسرته

في نطاقه بداية تحوّله إلى قريةٍ ، ظلّت تنمو باستمرارسُكّانيّاً بالهجرات المُتوالية إليها ، كما بسطنا الكلام عليه في الفصل الأوّل .

بعد هذه التطوّرات المُتواليّة في وضع المقام ومُحيطِه ، وخصوصاً في ظلّ النموّ العددي لأُسرة الحاج حسن ، وحاجة المقام إلى مَن يلي شؤونَه وشؤونَ زائريه ، كان من الطبيعي أن تولّي محكمة بعلبك ثلاثة أشخاصٍ من الأُسرة على المقام وأوقافِه ، ولايةً قالت أنّها مؤقتة ، بانتظار صدور براءة شرعيّة سُلطانيّة من استامبول بهذا الخصوص . ولكن يبدو أنّ هذا المؤقّت قد استمرّ من بعد مُـدةً طويلة . وكل ذلك سنبسطُ الكلامَ عليه في نصّ الوثيقة وتحليل مضمونِها .

ويقولُ رقيمٌ على الحجر ما يزالُ محفوظاً :

" إنما يعمرُ مساجدَ الله مَن آمن بالله واليوم الآخِر . لمّا كانت سنة اثنتا عشرة بعد الألف من شهر ربيع الأوّل شيّد مقامَ النبي المُبارك مُحسنة ابنةُ الدين غفر اللهُ لها ولوالديها "

ومن الواضح أنّ اسمَ المُحسنة مُستعار ، لوحظ فيه بادرتها الخيّرة ، ورغبة الحرائر في كتم أسمائهن .

ومنذ زهاء قرنين أُعيد تأهيلُ المقام على نفقة الحاج حسن الهمْداني . ونُلفتُ القارئ إلى أنّ في هـــذه المعلومة نتيجة غير مُتوقّعة ، هي أن النسبة إلى همْدان القبيلة ، ومنها أكثر عُمّار تلك السُــفوح الغربيّة ، كما قُلنا فيما فات ، كانت ما تزال مسموعةً حتى ذلك الأوان .

أخيراً نقول ، إن آخر تجديدٍ للمقام تمّ مؤخّراً بمُبادرة من عددٍ من المُحسنين في البلدة . وذلك ابتداءً من السنة 1416 هـ / 1995 م .

———

مُلحق

فيه نصٌّ وثيقةٍ مُتوراثَةٌ فيها ذكرُ وقفيّات على مقام النبي شيث ، غنيّةٌ بالتواريخ والأسماء ، ما كان منها أسماء أشخاص ، وما كان منها أسماء معالم طوبوغرافيّة (عقارات وطاحون وبستان). فهي من هذه الجهة وثيقةٌ نادرة ، بل فريدة . تؤكّدُ كما تُصحّح بعض ما وقفنا عليه فما فات من معلومات اعتماداً على النقولات الشفويّة .

والحقيقةُ أن هذه الوثيقة تجمعُ وتُلخّصُ في نصّها عدّة وثائق قضائيّة . كلّها تدورُ على توثيقات لدى محكمتي بعلبك ودمشق لوقفيّات عقاريّة وخدماتيّة (طاحون) على مقام النبي شيث : الجهة ، الولاية والتصرُّف ، الاستثمار ، ووجوه الصّرف .

لكنّ الوثيقة تطرحُ على المُتأمّل ، مثل كلّ الوثائق المُماثلة ، عدّة إشكاليّات ، منها ما يتعلّقُ بسندها وصحّتها،ومنها مايتعلّق بقراءتها واستيعاب مضامينها.

1 - في سندها وصحّتها

وصلتنا الوثيقة صورةً ضوئيّة عن أصلٍ يبدو أنّه حتى الآن مفقود أو مَضنونٌ به عند أهلِه ، وعلى كلّ حال فإنّنا بعد السؤال لم نسمع من أحدٍ ممّن لديه هذه الصورة أنّه رآه . ولكنّ هذا الأصل المُفترض للوثيقة هو بدوره منقولٌ عن أُصولٍ عدّةٍ كانت عند أربابِها . كما أنّها كانت ولا بُدّ موجودةً في المحاكم التي توالت توثيق المُستند الأصلي في بعلبك ودمشق . توثيقاً على نحوٍ مُتسلسلٍ ، يؤكّدُ ويُوثّق ما قبلَه دون أن يُضيف ، لِما للوقف من حُرمةٍ ، ولِما لإرادة الواقف من احترامٍ بحُكم الشّرع .

ومع ذلك فإنّه ما من ريبٍ عندنا على الإطلاق في صحّتها . وذلك بالنظر إلى لُغتها الاحترافيّة التي تشهدُ أنّها صيغت على أيدي مُحترفين في وضع هذا القبيل من الوثائق . وأيضاً بالنظر إلى ما تضمّنته من أسماء العقارات الموقوفة مع بيان حُدودها . وهذه تتضمّن أيضاً المَزيد من أسماء العقارات ، التي ما يزالُ بعضُها يحملُ الاسمَ نفسَه . وهذه كلُّها من الصعب جدّاً ، إن لم يكُنْ من المُستحيل ، أن تكون موضعَ تزييفٍ ، أي من دون أن يكونَ لها أساسٌ صحيح .

2 ـ في قراءتِها وتحليل مضمونِها

أصلُ الوثيقة هو تصديقُ وتصحيحُ قاضي مدينة بعلبك ، المَدعوعبد الله بن محمد ، لإرادة المُسمّى الخواجه محمد العصي وقفَ ستة عشر عقاراً مملوكةً له بالإضافة إلى طاحون وبستان على مقام النبي شيث ، وذلك بتاريخ 16 ذي القعدة سنة 518 هـ = 4/2 / 1124 م .

والظاهرُ من لقب الواقف (خواجه) أنه كان تاجراً مُثرياً ، لأنّ من المعلوم أن هذا اللقب في عصر النصّ كان مُختصاً في المنطقة الشاميّة بكبار التُجار .

ثم أنّ النصُّ يصِف الواقف بأنّه " **المُقيم يومئذٍ بمشهد النبي شيث** " . بل أنّه يُدرجُ " **قطعة الأرض المُشرّفة العامر فيها المشهد الشريف** " في عِداد العقارات التي أوقفها . وهذا يدلُّ دلالةً لا ريب فيها على أنّ العقارَ وما فيه من مشهد كان قبل وقفه مِلكاً للخواجه ، وأنّ هذا كان مُقيماً في المَشهد ، وأي بالتالي أنّ المشهد كان أيضاً بيتاً له . الأمرُ الذي قد يدفعُ باتجاه الشكّ فيما وقفنا عليه في الروايات الشفويّة ، القائلة أنّ عُمران البلدة قد بدأ بنزول

آل الحاج حسن بقعتَها . إلا أن نقول أنّ الرجلَ كان أشبه بالمُتنسّك المُستوحد . يؤيّدُ ذلك أنّ عقاراتٍ كثيرةً في الجوار ممّا أوقفه كانت أيضاً مِلكاً له . وهذا يدفعُ باتجاه تصوّرٍ مُختلفٍ للوضع العمراني للمنطقة ، يعودُ بنا إلى الروايات الشفويّة ، بتوجيه أنّ الرجلَ كان يعيشُ في المشهد عِيشةَ ناسك ومن حولِهِ أملاكُهُ الواسعة . وليس ذلك بالأمر البِدْع ولا الغريب . ولعلّ ما يُؤيّدُ هذا التصوّر أنّه في النهاية أوقفَ كلَّ أملاكِهِ على " **المشهد الشريف** " ، ممّا يدلُّ على قوّة حوافزه الدينيّة وعلى تعلّقه بالمشهد وصاحبِه . وذلك لا يتنافى مع ، بل ربما يُؤيّدُ ضمناً ، القول بأنّ العُمران العامّ لِما أصبح البلدةَ المنسوبةَ باسمها إلى صاحب الضريح ، قد حصل بسلسلة الهجرات إليها ، كان أوّلُها هجرةُ الحاج حسن بعائلته إليها .

بعد مايقرب من أربعة عُقود من إيقاع الوقفيّة ، وبالتحديد سنة 550 هـ/ 1155م رأينا أوّلَ تأكيد لوثيقة الوقف الأُولى ، لدى قاضي بعلبك أيضاً ، ثم لدى قاضيين في دمشق . والذي يبدو لنا أنّ الغرضَ من هذه هو إثبات ولاية المدعو أبو الحسن علي بن أبي المناقب

محمد على المقام وموقوفاته . ممّا يدلُّ على أن المسألة غدت موضوع اهتمام . والظاهر أنّ الخواجه العصي كان قد توفي ، فصارمن اللازم تعيين وليّ يُشرف على استثمار الوقفيّة من بعدِه ، كما ينفقُ على الوُجوه التي حدّدها الواقف .

تلا ذلك أربعُ مراجعات لمختلف المحاكم بشأن التصديق على الوقفيّة لزوماً وصرْفاً ، دون الاهتمام بذكر الولاية والولي . توالت بفاصلٍ زمنيٍّ حتى ما بعد السنة 993 هـ / 1585 م . حيث صدرت براءة سُلطانيّة من استامبول بهذا الشأن . نقول " **ما بعد** " لأن المُراجعة الرابعة التي جرت أمام قاضي دمشق قد ضاع تاريخُها بسبب خرْمٍ أصاب الورق لم يُبقِ إلا على " **سنة خمسة عشر** " . ونحن لا نجِدُ سبباً لهذه التوكيدات المُتوالية إلا قيام نزاعٍ ما ، حسمتهُ المحاكم على طريقتِها . ولكنّ إغفالَ أمر الولايةِ والوليّ طوال قرون مُريب .

ما يزيدُ المُلاحظةَ الأخيرة غرابةً ، أنه بتاريخ جُمادى الأُولى سنة 1279 هـ / تشرين الأول ، أُكتوبر 1862 م أصدرت محكمةُ بعلبك ولايةً مؤقتةً على

الأوقاف لثلاثة أشخاص من آل الحاج حسن **" لحين صُدور الإرادة السّنيّة بتوجيه براءةٍ شرعيّةٍ سُلطانيّة باسم المُقرّرين المرقومين " .**

وبهذه التولية خُتمت الوثيقة .

بسم الله الرحمن الرحيم
هذه نسخةٌ عن الوقفيّة على النبي شيث عليه السلام

هذا فرعٌ نُقل من أصلِه بإذن مولانا الحُجّة الحاكم الشرعي بمدينة بعلبك دام عُلاه . وهو على مضمون الأصل الكريم .

قال الله تعالى : " مثل ما يُنفقوا [كذا] في سبيل الله كمثل حبّةٍ أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبّة والله يُضاعف لمن يشاء ولا يُضيع أجرَ المحسنين " .

وبعده .

فهذا بيانٌ لِما وقفَه وحبسه سيّدُنا ومولانا الخواجا محمد العصي ، المُقيم يومئذٍ بمشهد النبي شيث (ص) .

قد وقف من ملكه وماله ، وأشار إلى بيانه ووصفِهِ وتحديدِهِ ابتغاء وجه ربّه جلّ جلالُه بأنّ الله لا يُضيع أجرَ المحسنين في صحة وسلامة وكمال عقل وقُدرة واختيار . وذلك جميع مزرعة النبي المعروفة

بسكر المجرى (. . . .) [1] . التي حدُّها من القبلة هدفة الصخرة وخندق عين أبوالزهر.ومن الشرق عين مرجة العامود . ومن الشمال طريق المسرب وأراضي العامرة . ومن الغرب النهر المالح .

ومنها جميع قطعة الأرض المشرفة العامر فيه المشهد الشريف . حدُها من القبلة خربة الرومي وموقدة قنا والدير ، ومن الغرب مغارة المدرسة والشقيف ، ومن الشرق أغراز ، ومن الشمال الطريق السالك إلى قرية طبشار ، ومن القرية إلى بئر حنكتا على طريقه إلى مجمع الماء الشتوي على ما يشهد المغارة والشقيف المذكورين .

ومنها جميع قطعة الأرض المعروفة بالحمراء ووادي الفرس . حدُها من القبلة ملك (.....) [2] . ومن الشرق أغراز. ومن الشمال الطريق . ومن الغرب الطريق .

ومنها جميع قطعة الأرض البياض ووادي الفرس ، حدُها من القبلة مجمع الماء الشتوي . ومن الشرق الطريق . ومن الشمال مقلب الماء الشتوي وأرض طبشار ومن الطريق .

ومنها جميع قطعة الأرض المعروفة بشحلية وحنجياتا . حدُها من القبلة اغراز. ومن الشـرق الجبل ، والشمال ملك غسان . ومن الغرب أرض سرعين .

ومن ذلك جميع قطعة الأرض المعروفة بشحليا . حدُها من القبلة ملك بني العريف . ومن الشرق اغراز . ومن الشمال كذلك ، ومن الغرب أرض سرعين .

ومنها جميع قطعة الأرض المعروفة بباريا . حدُها من القبلة أرض سرعين ، ومن الشرق اغراز ، ومن الشمال السلسلة ، ومن الغرب أرض سرعين .

ومن ذلك قطعة الأرض بعين قزيا . حدُها من القبلة اغراز ، ومن الشرق اغراز ، ومن الشمال الطريق ، ومن الغرب أرض سرعين .

ومن ذلك جميع قطعة الأرض الكائنة في أرض سرعين . حدُها من القبلة أرض سرعين ، ومن الشرق كذلك ، ومن الشمال والغرب مثل ذلك .

وجميع السهم الطويل . حدّه من القبلة الطريق ، ومن الشرق بيت المال ، ومن الشمال الطريق ، ومن الغرب أرض سرعين .

ومن ذلك جميع قطعة الأرض المعروفـة ببـريا .

حـدُها من القبلة راس الهدفه، ومن الشرق أرض سرعين ، ومن الشمال الطريق ، ومن الغرب أرض سرعين .

ومن ذلك جميع قطعة الأرض الحمراء . حدُها من القبلة الطريق ، ومن الشرق حجر ناصر ، ومن الشمال أرض سرعين ، ومن الغرب كذلك .

ومن ذلك قطعة الأرض المعروفة بالسكيكة . حدُها من القبلة اغراز ، ومن الشرق السلسلة ، ومن الشمال الطريق ، وبتمام الحدّ أرض سرعين .

ومن ذلك جميع قطعة الأرض المعروفة بالنصوب . حدُها من القبلة أرض قنا ولسا [3]، ومن الشرق أغراز ، ومن الشمال راس الشرفة وأرض سرعين ، ومن الغرب أغراز والبير الروى في راس القنطرة .

وجميع قطعة الأرض المعروفة بالرافة / الراقة من مثالج بيت شاما . حدُها من القبلة الطريق السالك ، ومن الشرق السُكر ، ومن الشمال الحدفة ، ومن الغرب الشموع .

ومن ذلك القطعة الثانية المعروفة بأرض الرافقة .

حدُها من القبلة بيت الشيخ محمد ، ومن الشرق النهر ، ومن الشمال حقلة المغطى ، ومن الغرب مجرى الماء .

وجميع قطعة الأرض الثالثة المعروفة بأرض الرافقة . حدُها من القبلة التلّ ، ومن الشرق مجرى الماء الشتوي ، ومن الشمال بيت الهلالي ، ومن الغرب العين .

ومن ذلك الحجرين الطاحون والبستان التابع قنا ويُعرف بعز الدين الجاموس . شُهرتُهُ في مكانه تُغني عن التحديد .

بجميع حقوقها كلّها وطُرُقها ومرافقها ومن كل حق هو لها داخل فيها وخارجٌ عنها . وقفاً مؤبّداً وحبساً مُحرّماً وصدقةً منتهلة [كذا] وإنفاقاً دائماً ومُحبّساً دائماً سرمداً . لا يُباعُ ولا يُوهبُ ولا يُورّثُ ولا يُتناقل ولا يُستهلك ولا يُتلف بوجهٍ مُتلف . ولا يخرجُ إلى ملك أحد التي عليه حينه وأوانه . فهو مُحرّمٌ بحُرمات الله تعالى ، مدفوعٌ عنه بعون الله إن شاء الله تعالى ، بقوّة الله جلّ جلاله . يبتغي فيه مرضاة الله تعالى . لا يحلُّ لأحدٍ يؤمن بالله وباليوم الآخر ، يعلمُ إلى ربه الكريم [صائر].

ومَن أراد أن ينقض هذا الوقف أو يُغيّره

ويتعدّى شروطه حسب ما عيّن الواقف أثابه الله تعالى ، وقفه هذا يُصرف على عِمارة المشهد الذي فيه قبر نبي الله شيث عليه السلام وعلى نبينا وعليه وعلى جميع الأنبياء أفضل الصلاة وأتمّ التسليم . وعِمارة أماكنه ولا لذوي تركة . بل يؤجّر سنةً بسنةٍ لمَن يرضاه الناظر عليه . فإنْ فضُل شئٌ عن المصروف للوازم المذكورة يُصرف تكيّةً في المشهد الذي فيه قبر النبي شيث عليه السلام ، لسائر الواردين إليه . وإن خاسَ [4] ولم يقُمْ بقدر المصروفات للوازم المذكورات فليستدن [5] الناظر عليه بحسب ما يراه ، ويدفعه من محصول الوقف في المستقبل . شرطاً شرعياً . وإخراج الواقف أثابه الله تعالى وقفه هذا على الوجوه المشروحة أعلاه ، وأبانه عن حيازة ملكه ، وجعله وقفاً شرعيا إلى أن يرث الله الأرضَ ومَن عليها وهو خير الوارثين . وهذا الواقف يشكو إلى الله على مَن يقصدُ وقفه بعناد أو يروم بفساد . يُحاكمه بين يدي الله تعالى يوم لا ينفع الظالمين [6] معذرتهم . ولهم اللعنة ولهم سوء الدار .

وليجتهد الناظر في براءة ذمته.وليحذر [7]الذين يُخالفون عن أمره أن تُصيبهم فتنة أو يُصيبهم عذابٌ أليم

فمَن بدّلَ هذا الوقف أو عطّله أو صرفه في غير مصارفه فقد أثم وظلم وجار وسلك طريق الغيّ والفساد. ولا قبِلَ الله صلاةً ولا صوماً ، وجعله من الأخسرين أعمالا . الذين ضلّ سعيُهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنّهم يُحسنون صُنعا . ومّن بدّله من بعد ماسمعه فإنّما إثمه على الذين يُبدّلونه إنّ الهو سميعٌ عليم . ومّن أعان على إثباته وتنفيذه وصرفْه في مصارفه وجهاتِه نوّرَ اللهُ عليه قبره وأصلح أمرَه وأحسن كتابَه ويسّر حسابه . ووكّل الواقفُ في ثُبوت ذلك وفي طلب الحكم به وتنفيذ التوكيل . وأُشهد عليه بذلك في صحّةٍ منه واختيار وسلامة ، بتاريخ سادس شهر ذي القعدة سنة ثمانية عشرة وخمسماية . وحسبنا الله ونعم الوكيل .

وبأولي [كذا] الأصل المنقول عنه في هذا الفرع شهود الحال وهم : مولانا الشيخ محمد ابن منير ، والشيخ تقي الدين بن محمد ، والشيخ محمد الخطيب ، والشيخ أبي بكرالإمام ، والشيخ حسن بن أحمد ، وعبد الله بن عُمر .

بأعلاء [كذا] الأصل المذكور علامة الحُكم المتثبت له " الحمد لله بوافي نعَمه وبمنّه ".علامة كتابه:

" وقفٌ شرعيٌّ قبلتُ ما فيه وأمضيتُه . وأنا الفقير عبد الله بن محمد عفا عنهما ". وعلامة "لمّا عُرض عليّ هذا الكتاب وثبت مضمونُه لديّ قبلتُ ما فيه وأمضيتُ ما يحويه . حرّره الفقير إليه تعالى نور الدين بن عبد الكريم القاضي بمدينة بعلبك غُفر لهما " . وأعلاهُم علامةٌ مضمونُها : " لمّا عُرض هذا عليّ وثبت مضمونُهُ وشهودُهُ لديّ قبلتُ ،انا الفقير إليه تعالى محمد القاضي بدمشق الشام عفا عنه " .

ولها علامة : " أحاط علماً بما فيه وحرّر ما يحويه الفقير السيّد محمد الحسيني القاضي بدمشق الشام عُفي عنه " .

هذه صورة ما وُجِد بالأصل المذكور. وقوبل [8] على أصله حرف بحرف وكلمة بكلمة فصحّ ووافق وثبت مقابلته لديّ بشهادة شهود الثبوت الشرعي . كما اتصل مانسب إلى مولانا سعد الدين أبي المعالي لأصل الفرع بشهادة الحاج شحاده بن عبد الله البعلي والحاج مصطفى بن محمد من الوقف والشروط وسائر ما نُسب إليه فيه ، كما نصّ وشرح وبيّن فيه فيه لمولانا أبي الحسن علي بن أبي المناقب محمد المُولّى بمدينة بعلبك

المحروسة وأعمالها ، بولايته الصحيحة الشرعيّة ، في أواخر شهر ربيع الأول سنة خمسين وخمسمائة .

ثم اتصلَ ما نُسب إلى مولانا أبي الحسن علي بن أبي المناقب محمد من أصل الفرع والتقيد بشهادة محمد بن محمود وعبده بن محمد ، من الاتصال والتنفيذ وسائر ما نُسب إليه فيه لمولانا عبد الرحمن بن علاء الدين الحاكم بمدينة بعلبك من أواخر شهر رمضان المُعظّم سنة تسعون وخمس ماية .

ثم اتصل ما نُسب إلى مولانا عبد الرحمن بن علاء الدين من الاتصال والتنفيذ ، بشهادة الحاج عرفة بن علي والحاج محمد بن عبد الله ، الاتصال والتنفيذ المنسوب إليه إلى مولانا قاضي القضاة زين الدين ولي أمير المؤمنين القاضي بدمشق الشام وأعمالها في أواخر شهر شوال المعظم في سنة ثلاثين وستماية .

ثم اتصل ما نُسب إلى مولانا قاضي القضاة زين الدين ولي أمير المؤمنين بشهادة الحاج عمر بن عز الدين والحاج بدر الدين بن شمس الدين .

ملاحظة . ويوجد ما يُقارب خمسين شاهد كلهم علماء وقُضاة . وشهادتهم على النمط الذي سبق . ونحن

صرفنا النظر عن نقلهم وعمدنا على نقل الخلاصة .
إنه حكم بصحة هذا الوقف وشروطه . أوقعه على وجهه [9] الشيخ أحمد ابن الشيخ محمد المصري الأحمدي الإيقاع الشرعي ، بموجب البراءة الشريفة السلطانيّة المؤرخة في ثاني عشر صفر سنة ثلاثة وتسعين وتسعماية . عملاً بشرط الواقف المُعيّن في كتاب الوقف " لا يُصرَف إلا على العمار والخدم . ومهما فضُل يُصرَف تكيةً على الواردين إليه . وقيد على ذلك ولقلّة سعة الوقف وتحمّله لذلك . اعتبارٌ شرعي أوقفه على وجهه [9] الشيخ أحمد المذكور الإيقاع الشرعي عملاً بشرط الواقف من السيد محمد بن السيد علي بن السيد علوان الحسيني ، الناظر الوقف المذكور شرعاً في التاريخ المُعيّن أعلاه وشهود سبعة أنفار هم : محمد الاسطواني ، والثاني أبو بكر محمد ، والثالث محمد بن أسد ، والرابع محمد الزهري ، والخامس يوسف العدوي ، والسادس محمد بن علي البعلي ، والسابع علي بن حسين البعلي .
ثم اتصل ما نُسب إلى مولانا وسيّدنا قاضي القضاة شيخ مشايخ الإسلام مصطفى أفقا بن مصطفى

أفقا القاضي بدمشق الشام من الاتصال والتنفيذ والمنع وسائر ما نُسب إليه بشهادة محمد بن علي البعلي وعلي بن حسين البعلي . كما نصّ وشرح وبيّن فيه لمولانـــا الحاكم الآمر في نقلها ، فنُفّذ تنفيذاً شرعيّاً مُحرّراً مرعيّاً . فحكم به وأمضاه وأجازه وارتضاه وألزم العمل بمُقتضاه . تحريراً في اليوم المبارك الثاني عشر من شهر ذي الحجة الحرام سنة خمسة عشر .

شهود الحال

الشيخ محمد البهاء   السيد عز الدين بن السيد حيدر   الشيخ (. . . .) [10] الدين من قرية الكرك الحاج شحادي ابن الحاج محمد   ابراهيم ماجد   حسين بن الحاج ثابت   السيد يونس بن السيد نور الدين الشيخ تاج الدين بن عبده .

الخلاصة وتوكيل بيت الحاج حسن على الوقف وهي كما يلي

الحمد لله تعالى

بمجلس الشريعة الغرّاء بمحكمة بعلبك التابعة لدمشق المحروسة قرّر مولانا بحضور الفضلاء المُكرّمين الحاكم الشرعي الواضح عنه أعلاه في هذا الكتاب (. . . . .) [11] هما محمد وحسين ولدي الحاج حسن وعلي شحادي بن عباس الحاج حسن من أهالي قرية النبي شيث في وظيفة النظر والتكلُّم والمحافظة على وقف الخواجا محمد العصي وقفه من قبله (. . . . .) [11] على راوية [كذا] خرْج النبي شيث عليه السلام ، على أوقافه الجارية عليه شرعاً ، المشروط وقفه على التعمير وترميم الضريح ومصارفه اللازمة ، وعلى أرباب الشعائر وأصحاب الوظايف المُستخدمين في الضريح . ومهما فضُل من ذلك يُصرف لإطعام الطعام للفقراء والمساكين والدراويش الواردين على الضريح المرقوم ، دون الأغنياء وأصحاب المصالح ، بل الفقراء والضيوف من الفقـراء

والمارّين على الطريق ، حسبما يقضي عنه شرط الواقف المُحرّر ضمن كتابه الذي وقفه الواقف السابق على تاريخه . وذلك عن أمرٍ شرعيّ . وأن لا تُعطّل مصالح الوقف المرقوم حسبما أخبر بأمانته المقررين المرقومين جماعة من الثقاة . فلذلك قيّدهم بذلك ، وأذن لهم بتعاطي مصالح الوقف المرقوم ، من تعمير وترميم وإيجار وقبض وصرف ، بما فيه حفظ المصلحة الشرعية لجهة الوقف . مع العمل في في ذلك بتقوى الله تعالى في السرّ والعلانية . وفي تناول عُشر مُتحصّل جهة الوقف أُسوةً بأمثالهم النُظار بدمشق وتوابعها ، إذناً شرعيين مقبولين . وذلك مؤقتاً لحين صدور الإرادة السنيّة بتوجيه براءة شرعيّة سُلطانية باسم المقررَين . تحريراً في جماد الأُولى سنة 1279هجرية .

شهود الحال

شهد	شهد	شهد
وهبه	السيد زين مرتضى	محمد علي الدوري

هوامش

1 ــ كلمة غير مقروءة .
2 ـ كلمة غير مقروءة بعدها بياض بمقدار كلمة .
3 ـ على شكٍ بقراءة الكلمة .
4 ـ أي نقصَ ، عامّيّة محليّة .
5 ـ في الأصل : فاليستدين .
6 ـ في الأصل : الضالمين .
7 ـ في الأصل : واليحذر .
8 ـ في الأصل : وقبول .
9 ـ في الأصل : وجه .
10 ـ بياض في الأصل .
11 ـ بياض في الأصل بمقدار بضع كلمات .

ختـــام

بعـد حمْد المولى سبحانه على ماوفّق إليه من هذا البحث، وما انتهى إليه من نتائج، أعتقدُ أنّها ستُفاجئ القارئَ كما كانت تُفاجئني وأنا أبنيها فكرةً فكرةً ، بعد هذا أعترفُ بأنّني قد بدأتُ فيه عن غير اقتناعٍ شخصيّ لديّ، بل تلبيةً لرغبةِ مَن لم نعتَدْ منه على غير صواب الرأي وسَداد الفكر . أقول هذا على سبيل الاعـتبار .

أظنُّ أن أهمَّ نتيجةٍ وصل إليها هذا البحث تدورُ على نبي الله شيث : حُضُورُه الواسع في مُختلف الظواهر الدينيّة العالَميّة ، ودورُه بوصفه رائداً حضاريّاً عالَمياً أيضاً . أهميّةُ هذه النتيجة أنّها تُدخلُ تغييراً جذرياً على مفهومنا للإنسان وتاريخه . تنقلهُ من المفهوم الأنثروبولوجي ، الذي يتعاملُ مع الإنسان بوصفه ثمرة تطوّر ، ومع االظاهرة الحضاريّة بوصفها ثمرةً إنسانيّةً خالصة ، إلى المفهوم الإيماني ، الذي يتعاملُ مع الإنسان بوصفه خلقاً مُستقلاً ، ومع الحضارة بوصفها سلسلةً من الانجازات نمَتْ في أحضان الإيمان .

وما الذي سطرناه إلابداية الطريق الطويل باتجاه بناء تأريخٍ نمت فيه الحضارة في أحضان الإيمان .
